المسيح فى سفر ﺇشعياء

**مقدمة**

ببركة صلوات وتوجيهات وتعاليم قداسة البابا شنودة الثالث؛ نقدّم هذا الكتاب وهو تجميع ما نشرناه فى مجلة الكرازة من مقالات تحمل عنوان "**المسيح فى سفر إشعياء**" وعددها خمسون مقالاً. وأضفنا إلى ذلك بعض الوثائق التاريخية من مخطوطات سفر إشعياء؛ أخذنا تصريحًا بنشرها من مصادرها الحالية.

وسفر إشعياء غنى بالنبوات عن السيد المسيح ولا يكفيه مثل كتابنا هذا؛ ولكننا نقدّم أمثلة لما يمكن أن نراه من خلال قراءتنا المتواضعة لهذا السفر النفيس.

الرب يجعل هذا الكتاب سبب خلاص أو بركة لكثيرين بصلوات قداسة البابا شنودة الثالث آدام الله رعايته للكنيسة المقدسة.

**بيشوى**

**مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى**

**ورئيس دير الشهيدة العفيفة دميانة**

**والأستاذ بمعهد الدراسات القبطية**

**والكلية الإكليريكية**

الباب الأول

مقدمة تاريخية عن السفر و مخطوطاته

**النبى الإنجيلى**

البعض يلقبون إشعياء بلقب "النبى الإنجيلى" وهى تسمية مجازية لأن الأناجيل أربعة فقط. ولكن استخدمت هذه التسمية المجازية للتعبير عن وضوح وكثرة النبوات التى وردت فى هذا السفر عن السيد المسيح.

ونشكر الله فقد تم اكتشاف نسخة كاملة من سفر إشعياء باللغة العبرية مع الضمائر باللغة الآرامية يعود تاريخ كتابتها إلى **القرن الثانى قبل الميلاد** فى وادى قمران بالأردن فى منطقة البحر الميّت، بواسطة بعض رعاة الغنم العرب الأردنيين، ومعه بعض أجزاء من أسفار أخرى للكتاب المقدس العهد القديم بداخل مغاير حيث تم إخفاؤها بواسطة جماعة اليهود الأسينيين فى قدور مغلقة من الفخار فى هذه المغاير أثناء هجوم جيوش الإمبراطورية الرومانية على هذه البلاد.

وقد حصلنا على نسخة كاملة من سفر إشعياء المذكور من مخطوطات قمران. وحصلنا أيضًا على دراسة مقارنة باللغة الإنجليزية بين نص هذا السفر المكتوب على لفائف من الجلد، وبين النص المازورى الذى حصلنا عليه ضمن نسخة مصوّرة كاملة من العهد القديم التى قام الكتبة المازوريين بكتابتها **سنة 1008م** باللغة العبرية فى مجلّد من الجلد. وتنقلت بين البلاد حتى وصلت وحُفظت فى متحف سان بطرس بيرج (ليننجراد) بروسيا. وهؤلاء الكتبة هم من تلاميذ "**هارون بن آشير**" المشهور بين كتبة العهد القديم المازوريين. كما حصلنا على نسخة أقدم من السفر ضمن مخطوطة حلب "**The Aleppo Codex**" التى كتبها هارون بن آشير بنفسه سنة 935م. وحاليًا محفوظة فى الجامعة العبرية بتل أبيب.

وبمقارنة نص سفر إشعياء فى مخطوطات قمران وفى مخطوطتى المازوريين، نجد تطابقًا واضحًا بين النصين. وهو نفس النص الموجود فى الترجمة العربية البيروتية المنتشرة فى الوقت الحاضر لهذا السفر العظيم.

وسوف ننشر بمشيئة الرب نص الدراسة المقارنة التى أجراها أحد العلماء بالترجمة من العبرى إلى الإنجليزى بين نص مخطوطة قمران ونص المخطوطات المازورية للسفر كله. ولكن سوف نركّز على النبوات الواردة فى الإصحاحات السابع والتاسع والثالث والخمسين لأهميتها الخاصة.

وقد حصلنا على تصريح بنشر صورة ضوئية للإصحاح الثالث والخمسين من متحف ليننجراد بروسيا، أما مخطوطة حلب فهى على شبكة الإنترنيت، ومخطوطة وادى قمران على قرص إلكترونى؛ تم استئذان ناشره على نشر هذا الإصحاح. وسوف يجد القارئ هذه الصور الضوئية بألوانها الطبيعية ضمن هذه المقدمة.

* **الإصحاح الثالث والخمسون من سفر إشعياء من مخطوطة ليننجراد التى حُفظت فى متحف سان بطرس بيرج بروسيا (تم كتابتها فى معبد عزرا لليهود بمصر القديمة سنة 1008م)**
* **الإصحاح الثالث والخمسون من سفر إشعياء من مخطوطة حلب The Aleppo Codex، (تم كتابه سنة 935م بيد هارون بن آشير قائد مدرسة الكتبة المازوريين اليهود)**
* **الإصحاح الثالث والخمسون من سفر إشعياء من مخطوطات قمران (مخطوطة من القرن الثانى قبل الميلاد)**

ﺇنظر صور المخطوطات فى الكتاب المطبوعالباب الثانى

ظهور الابن الوحيد فى سفر ﺇشعياء

السيد المسيح على عرشه

بدأ سفر إشعياء بالنص التالى "رُؤْيَا إشعياء بْنِ آمُوصَ الَّتِي رَآهَا عَلَى يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمَ فِي أَيَّامِ عُزِّيَّا وَيُوثَامَ وَآحَازَ وَحَزَقِيَّا مُلُوكِ يَهُوذَا" (إش1: 1).

ثم جاء إلى رؤياه التى شاهد فيها السيد المسيح فقال: "**فِي سَنَةِ وَفَاةِ عُزِّيَّا الْمَلِكِ رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ**" (إش6: 1).

الذى رآه إشعياء النبى هو السيد المسيح قبل تجسده من العذراء مريم. رآه جالسًا على عرشه فى الهيكل ويطير حوله السرافيم وهم يسبّحون تسبحة الثلاثة تقديسات، وشَعَر إشعياء بالخوف؛ لأنه إنسان خاطئ وعيناه قد أبصرتا الملك رب الجنود.

**وقد وصف الموقف كما يلى:**

"رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ. السَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ فَوْقَهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ. بِاثنيْنِ يُغَطِّي وَجْهَهُ وَبِاثنيْنِ يُغَطِّي رِجْلَيْهِ وَبَاثنيْنِ يَطِيرُ. وَهَذَا نَادَى ذَاكَ: **قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ**. فَاهْتَزَّتْ أَسَاسَاتُ الْعَتَبِ مِنْ صَوْتِ الصَّارِخِ وَامْتَلأَ الْبَيْتُ دُخَانًا. فَقُلْتُ: وَيْلٌ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ لأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسُ الشَّفَتَيْنِ وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجِسِ الشَّفَتَيْنِ لأَنَّ **عَيْنَيَّ قَدْ رَأَتَا** **الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ**. فَطَارَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّرَافِيمِ وَبِيَدِهِ جَمْرَةٌ قَدْ أَخَذَهَا بِمِلْقَطٍ مِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ. وَمَسَّ بِهَا فَمِي وَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ قَدْ مَسَّتْ شَفَتَيْكَ فَانْتُزِعَ إِثْمُكَ وَكُفِّرَ عَنْ خَطِيَّتِكَ" (إش6: 1-7).

**ونلاحظ فى هذا النص الملاحظات التالية:**

1- إن السيد الجالس على الكرسى العالى يحمل لقب "**الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ**" وهو من ألقاب الله الخاصة به وحده.

2- إن الذى رآه إشعياء ليس هو الآب السماوى لأن يوحنا الرسول الإنجيلى يقول: "اَللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلإله الْوَحِيدُ الجنس الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ" (يو1: 18) والمقصود بقوله "الله" فى هذا النص؛ هو الله الآب. بينما يقول إشعياء "لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ رَأَتَا الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ" فالذى رآه هو **الابن** بالتأكيد.

3- إن الذى رآه إشعياء هو واحد من الأقانيم الثلاثة لأن الملائكة (السرافيم) قد سبّحوا قائلين: "قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ"، **ويستحيل أن تُقال تسبحة الثلاثة تقديسات إلا للواحد من الثالوث القدوس**.

4- إن الكرسى العالى فى هذه الرؤيا لم يكن فى السماء بل **على الأرض**. لأنه يقول عن السيد الجالس إن أذياله تملأ الهيكل، كما أن التسبيح قيل فيه فقط أن "مَجْدُهُ مِلْءُ **كُلِّ الأَرْضِ**"، ومعروف طبعًا أن مجد الرب يملأ السماء أيضًا، ولكن هذه الرؤيا كانت على الأرض. كما ذُكر اهتزاز أساسات العتب وامتلأ **البيت دخانًا**. وكل هذا يدل على أن الرؤيا كانت فى هيكل الرب فى أورشليم فى ذلك الزمان. يُضاف إلى ذلك وجود المذبح وعليه الجمرات المتقدة؛ وهذا أيضًا كان فى خدمة الهيكل بأورشليم.

5- إن تطهير فم النبى إشعياء بجمرة من على المذبح يرمز إلى سر الإفخارستيا؛ حيث يؤخذ التناول من جسد الرب ودمه من على المذبح بواسطة الكاهن. ويُعطى خلاصًا وغفرانًا للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه. وكل ذلك يجرى فى الكنيسة الحاضرة هنا على الأرض كعربون للحياة الأبدية؛ وتكون الملائكة حاضرة حول المذبح فى خدمة القداس الإلهى فى الكنيسة التى هى بيت الله الحالى فى الزمان الحاضر.

6- امتلأ البيت دخانًا، وهذا يرمز إلى البخور الذى يملأ الهيكل عند إصعاد القرابين فى الكنيسة.

7- إن إشعياء النبى قد اعترف بخطاياه وخطايا شعبه قبل أن ينال التطهير والتكفير. وقد سمع السرافيم اعترافه، فلم يقدّم إشعياء هذا الاعتراف للسيد الرب وحده. لذلك قام الملاك الذى يرمز إلى خادم ذبيحة القداس الإلهى بأخذ الجمرة من على المذبح بملقط؛ ومس بها فمه. وهذا يرمز إلى خدمة الأسقف فى الكنيسة (ملاك الكنيسة) بمساعدة القسوس فى سر الإفخارستيا.

وأكمل إشعياء النبى رؤياه فقال: "**ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتَ السَّيِّدِ: مَنْ أُرْسِلُ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟ فَأَجَبْتُ: هاأنذا أَرْسِلْنِي**" (إش6: 8).

شيء رائع أن يستمع إلى الدعوة ويستجيب لها بعد أن تطهّر من خطاياه بقوة المذبح. وها هو صوت الرب ينادى باستمرار "مَنْ أُرْسِلُ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟".. ألم يقل السيد المسيح إن "**الْحَصَادُ كَثِيرٌ وَلَكِنَّ الْفَعَلَةَ قَلِيلُونَ. فَاطْلُبُوا مِنْ رَبِّ الْحَصَادِ أَنْ يُرْسِلَ فَعَلَةً إِلَى حَصَادِهِ**" (مت9: 37، 38)؟

ليتنا نكون مستعدين للاستماع إلى صوت الرب ودعوته، ومستعدين أن نعمل معه فى بناء الملكوت ونردد مع إشعياء إذ يدعونا عندما نكون مستعدين "**هاأنذا أَرْسِلْنِي**"..

الارتباط بين الرؤيا وتابوت العهد

كان تابوت العهد يوضع داخل قدس الأقداس فى خيمة الاجتماع التى صنعها موسى النبى حسب أمر الرب، وأيضًا بعد ذلك فى الهيكل الذى بناه سليمان الملك فى أورشليم.

ومن الأمور اللافتة للنظر أن الملائكة الذين ذكرهم إشعياء فى رؤياه؛ قد ورد عنهم عبارة "**وَهَذَا نَادَى ذَاكَ**"، مما لا يخفى على القارئ أنه يتكلم عن **ملاكين** يتبادلان تسبحة الثلاثة التقديسات.

فى قبر السيد المسيح، بعد قيامته المجيدة من الأموات، أبصرت مريم المجدلية **"ملاَكَيْنِ** بِثِيَابٍ بِيضٍ جَالِسَيْنِ وَاحِدًا عِنْدَ الرَّأْسِ وَالآخَرَ عِنْدَ الرِّجْلَيْنِ**"** (يو20: 12). وأيضًا قبل ذلك النسوة اللواتى أتين إلى القبر بعد قيامة الرب ووجدن الحجر مدحرجًا عن القبر "فَدَخَلْنَ وَلَمْ يَجِدْنَ جَسَدَ الرَّبِّ يَسُوعَ. وَفِيمَا هُنَّ مُحْتَارَاتٌ فِي ذَلِكَ **إِذَا رَجُلاَنِ وَقَفَا بِهِنَّ بِثِيَابٍ بَرَّاقَةٍ**. وَإِذْ كُنَّ خَائِفَاتٍ وَمُنَكِّسَاتٍ وُجُوهَهُنَّ إِلَى الأَرْضِ قَالاَ لَهُنَّ: لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ؟ لَيْسَ هُوَ هَهُنَا لَكِنَّهُ قَامَ!" (لو24: 3-6)، وكان المنظر الذى رأته النسوة هو منظر ملاكين.

مسألة وجود ملاكين عند أو فى قبر السيد المسيح، ووجود ملاكين فى رؤيا إشعياء النبى ليست مصادفة لأن الرب أمر موسى أن يضع ملاكين على غطاء تابوت الشهادة (أى تابوت العهد) فى قدس الأقداس. وقد ورد ذلك فى وصف الرب لموسى كيف يعمل ذلك فى سفر الخروج:

"وَتَصْنَعُ غِطَاءً مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ طُولُهُ ذِرَاعَانِ وَنِصْفٌ وَعَرْضُهُ ذِرَاعُ وَنِصْفٌ. وَتَصْنَعُ **كَرُوبَيْنِ** مِنْ ذَهَبٍ. صَنْعَةَ خِرَاطَةٍ تَصْنَعُهُمَا عَلَى طَرَفَيِ الْغِطَاءِ. فَاصْنَعْ كَرُوبًا وَاحِدًا عَلَى الطَّرَفِ مِنْ هُنَا وَكَرُوبًا آخَرَ عَلَى الطَّرَفِ مِنْ هُنَاكَ. مِنَ الْغِطَاءِ تَصْنَعُونَ الْكَرُوبَيْنِ عَلَى طَرَفَيْهِ. وَيَكُونُ الْكَرُوبَانِ بَاسِطَيْنِ أَجْنِحَتَهُمَا إِلَى فَوْقُ **مُظَلِّلَيْنِ بِأَجْنِحَتِهِمَا عَلَى الْغِطَاءِ وَوَجْهَاهُمَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى الآخَرِ**. نَحْوَ الْغِطَاءِ يَكُونُ وَجْهَا الْكَرُوبَيْنِ. وَتَجْعَلُ الْغِطَاءَ عَلَى التَّابُوتِ مِنْ فَوْقُ. وَفِي التَّابُوتِ تَضَعُ الشَّهَادَةَ الَّتِي أُعْطِيكَ. **وَأَنَا أَجْتَمِعُ بِكَ هُنَاكَ وَأَتَكَلَّمُ مَعَكَ مِنْ عَلَى الْغِطَاءِ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ بِكُلِّ مَا أُوصِيكَ بِهِ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**" (خر25: 17-22).

**إذن فتابوت العهد يشير إلى العرش الإلهى الذى تحيط به مظلة الكاروبيم.**

ولكن الأمر اللافت للنظر هو أنه فى رؤيا إشعياء وفى وصف تابوت الشهادة (تابوت العهد) قد قيل إن الملاكين كانا فوق العرش أو فوق غطاء التابوت.

مُظَلِّلَيْنِ بِأَجْنِحَتِهِمَا

ما معنى أن يظلل الملائكة فوق العرش الإلهى "مُظَلِّلَيْنِ بِأَجْنِحَتِهِمَا" (خر25: 20)؟ وقد وردت هذه العبارة أيضًا فى سفر حزقيال إذ يقول الرب لزُهرة بنت الصبح "أَنْتَ الْكَرُوبُ الْمُنْبَسِطُ **الْمُظَلِّلُ** وَأَقَمْتُكَ" (حز28: 14، انظر إش14: 12).

**هل يحتاج الرب إلى مظلّة. وما فائدتها؟!..** إن المظلة تحمى من المطر أو من الشمس. ولكن الرب لا يحتاج لمثل هذه الأمور.

وقد قال معلمنا بطرس الرسول للسيد المسيح على جبل التجلى: "يَا مُعَلِّمُ جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ هَهُنَا. فَلْنَصْنَعْ ثَلاَثَ مَظَالَّ: لَكَ وَاحِدَةً وَلِمُوسَى وَاحِدَةً وَلإِيلِيَّا وَاحِدَةً. وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ مَا يَقُولُ. وَفِيمَا هُوَ يَقُولُ ذَلِكَ كَانَتْ سَحَابَةٌ فَظَلَّلَتْهُمْ. فَخَافُوا عِنْدَمَا دَخَلُوا فِي السَّحَابَةِ. وَصَارَ صَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً: هَذَا هُوَ ابني الْحَبِيبُ. لَهُ اسمعُوا" (لو9: 33-35). فماذا كان يقصد بطرس الرسول بعمل المظال؟!..

إن ما يمكننا أن نفهمه عن مظلة الكاروبيم فوق العرش الإلهى هو أنها لا تحمى العرش إطلاقًا، بل **تعكس المجد والبهاء الصادر عن الله لتنبهر به الخليقة المتطلّعة نحو العرش**. مثلما تحاط المصابيح والكشافات المتقدة بالنور بمظال تعكس ضوءها. لهذا قيل عن حادثة التجلى "إِذَا سَحَابَةٌ **نَيِّرَةٌ** **ظَلَّلَتْهُمْ**" (مت17: 5).

ألم يقل السيد المسيح عن نفسه إنه هو "**نُورُ الْعَالَمِ**" (يو8: 12، 9: 5)، ثم عاد يقول: "أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ" (مت5: 14). وقيل عن السيد المسيح "كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ" (يو1: 9). فالسيد المسيح هو النور الحقيقى، أما القديسون فيعكسون هذا النور لأنهم ليسوا هم مصدره، كما شرح ذلك قداسة البابا شنودة الثالث – أطال الرب حياة قداسته.

**فوجود الملائكة فوق العرش لا تعنى أنها تعلو فى المقام عنه**، بدليل أن كل واحد منهم (كما ورد فى سفر إشعياء النبى الإصحاح السادس) بجناحين يغطى وجهه، وباثنين يغطى رجليه، وباثنين يطير. فهو يغطّى وجهه من بهاء عظمة مجد الرب التى لا تحتمل التحديق فيها، ويغطى رجليه بمعنى الخجل والاحترام، ويطير باثنين ليكون قادرًا على تنفيذ مشيئة الرب فى الحال، ويشبه فى ذلك السيد المسيح معلقًا وهو فاتح ذراعيه على الصليب طاعةً لأبيه السماوى.

لماذا إشعياء بالذات؟

بالرغم من أن رؤيا إشعياء النبى قد وردت فى الإصحاح السادس؛ إلا أنها تشير إلى بداية خدمة إشعياء النبى؛ وبدء دعوة الرب له. لأن السيد قال على مسمع منه: "مَنْ أُرْسِلُ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟" (إش6: 8)، فردّ إشعياء وقال: "هاأنذا أَرْسِلْنِي" (إش6: 8). وبالطبع فإن الدعوة تسبق الإرسالية.

ولكن لماذا اختار الرب إشعياء بالذات ليظهر له فى الهيكل، ويرسل واحدًا من السرافيم لتطهيره، ثم يدعوه ويرسله، ويسكب عليه هذا الفيض العجيب من النبوات عن السيد المسيح؛ حتى دُعى إشعياء النبى "النبى الإنجيلى" ودُعى سفر إشعياء "الإنجيل الخامس" لكثرة ما ورد فيه من نبوات عن المسيح الرب؟!!..

نلاحظ أن إشعياء كان من العابدين بعمق وملازمًا للعبادة؛ لأن الرؤيا التى ظهرت له كانت فى الهيكل بأورشليم كما شرحنا سابقًا..

وبالإضافة إلى ذلك كانت مخافة الرب واضحة فى كلامه عندما قال: "وَيْلٌ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ لأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسُ الشَّفَتَيْنِ وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجِسِ الشَّفَتَيْنِ لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ رَأَتَا الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ" (إش6: 5).

**كان إشعياء إنسانًا متواضعًا معترفًا بخطاياه. ولكن الشيء العجيب أنه قد حمل هموم شعبه عند رؤيته للرب؛ فاعترف بخطاياه وخطاياهم معًا.**

كان إشعياء مثقلاً بهموم شعب إسرائيل.. مثقلاً برؤيته لخطاياهم، وحيرته فى أمر خلاصهم.. وحيرته فى كيفية تحقيق وعد الرب بالخلاص لمثل هذه البشرية التى الجميع فيها قد "زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ" (رو3: 12).

لقد تمرر إشعياء بسبب خطايا شعبه وصلّى كثيرًا إلى الرب مُذكّرًا إياه بمواعيده للآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب، ومن قبلهم وبعدهم كثيرون من الذين انتظروا خلاص الرب شاعرين بحاجتهم إلى الخلاص.

**كان إشعياء يتطلع نحو مجد الله، ويتوعّد شوقًا أن يصير مجد الرب رايةً للشعوب.. وانطلق ببصره النبوى خارج إطار الأمة اليهودية ومملكة إسرائيل إلى كل شعوب الأرض مثل ما ورد فى الآيات التالية:**

"وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ **أَنَّ أَصْلَ يَسَّى الْقَائِمَ رَايَةً لِلشُّعُوبِ إِيَّاهُ تَطْلُبُ الأُمَمُ** وَيَكُونُ مَحَلُّهُ مَجْدًا" (إش11: 10).

"إلْتَفِتُوا إِلَيَّ وَاخْلُصُوا **يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الأَرْضِ** لأَنِّي أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَرَ" (إش45: 22).

كان إشعياء قلبًا يشتعل بالحب نحو الله ونحو البشرية جمعاء. لذلك فعندما أوحى إليه الروح القدس بنبواته الرائعة "**وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ. وَيَحِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ. وَلَذَّتُهُ تَكُونُ فِي مَخَافَةِ الرَّبِّ فَلاَ يَقْضِي بِحَسَبِ نَظَرِ عَيْنَيْهِ وَلاَ يَحْكُمُ بِحَسَبِ سَمْعِ أُذُنَيْهِ. بَلْ يَقْضِي بِالْعَدْلِ لِلْمَسَاكِينِ وَيَحْكُمُ بِالإِنْصَافِ لِبَائِسِي الأَرْضِ وَيَضْرِبُ الأَرْضَ بِقَضِيبِ فَمِهِ وَيُمِيتُ الْمُنَافِقَ بِنَفْخَةِ شَفَتَيْهِ. وَيَكُونُ الْبِرُّ مِنْطَقَةَ مَتْنَيْهِ وَالأَمَانَةُ مِنْطَقَةَ حَقَوَيْهِ**" (إش11: 1-5). وأيضًا "وَتَقُولُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: أَحْمَدُكَ يَا رَبُّ لأَنَّهُ إِذْ غَضِبْتَ عَلَيَّ ارْتَدَّ غَضَبُكَ فَتُعَزِّينِي. هُوَذَا اللَّهُ خَلاَصِي فَأَطْمَئِنُّ وَلاَ أَرْتَعِبُ **لأَنَّ يَاهَ يَهْوَهَ قُوَّتِي وَتَرْنِيمَتِي وَقَدْ صَارَ لِي خَلاَصًا**. فَتَسْتَقُونَ مِيَاهًا بِفَرَحٍ مِنْ يَنَابِيعِ الْخَلاَصِ. وَتَقُولُونَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: احْمَدُوا الرَّبَّ. ادْعُوا بِاسمهِ. عَرِّفُوا بَيْنَ الشُّعُوبِ بِأَفْعَالِهِ. ذَكِّرُوا بِأَنَّ اسمهُ قَدْ تَعَالَى. رَنِّمُوا لِلرَّبِّ لأَنَّهُ قَدْ صَنَعَ مُفْتَخَرًا. لِيَكُنْ هَذَا مَعْرُوفًا فِي كُلِّ الأَرْضِ. صَوِّتِي وَاهْتِفِي يَا سَاكِنَةَ صِهْيَوْنَ لأَنَّ قُدُّوسَ إِسْرَائِيلَ عَظِيمٌ فِي وَسَطِكِ" (إش12: 1-6).

فقد شملت نبواته هذه جميع الأمم بصورة لم يتقبلها الشعب اليهودى بسهولة حتى فى بدايات الكنيسة فى العهد الجديد. وهو الأمر الذى عمل فيه الروح القدس حتى أوضح لكنيسة الرسل مقاصد الرب بصورة متدرجة حتى وصلت لكمالها.

واختص إشعياء فى نبوته؛ مصر وشعبها بنبوات رائعة مثل قوله: "**في ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ مَذْبَحٌ لِلرَّبِّ فِي وَسَطِ أَرْضِ مِصْرَ وَعَمُودٌ لِلرَّبِّ عِنْدَ تُخُمِهَا**" (إش19: 19)، وقوله "بِهَا يُبَارِكُ رَبُّ الْجُنُودِ قَائِلاً: **مُبَارَكٌ شَعْبِي مِصْرُ**" (إش19: 25).

**كان إشعياء شاعرًا وكانت حياته أنشودة حب؛** لذلك ظهر له الرب فى رؤيا مع السرافيم أى المتقدين بالنار-نار الحب الإلهى. **فالكاروب**؛ معناه: "**الممتلئ أعينًا**" أى الممتلئ معرفة. و**السرافيم** ومفردها "**ساراف**"؛ معناه: "**المتقد بالنار**" أى بالحب.

حقًا ينطبق على إشعياء النبى **شعر قداسة البابا** عن المتنيح الأرشيذياكون حبيب جرجس:

هـذه تقواك: إيمـانٌ فحبٌ هذه دنياك: أشـواكٌ وصـلبٌ

##### أنت، من أنت؟ رسولٌ ههنا؟ أنت أبهى من رسول، أنت قلبٌ

أنت قلبٌ واسعٌ فى حِضْنـِهِ عاش جيلٌ كاملٌ أو عاش شعبٌ

أنت نبعٌ من حنـانٍ دافـقٍ أنت عطفٌ، أنت رفقٌ، أنت حبٌ

الباب الثالث

نبوات عن ميلاد السيد المسيح

وتجسده

ملء الزمان

لم يذكر إشعياء النبى رؤيته للسيد المسيح فى بداية سفر نبوته لئلا يبدو الأمر وكأنه متمركز حول أموره الخاصة، ولكنه ذكرها بالروح القدس قبل أن يبدأ نبواته المحددة عن تجسُّد الكلمة (أى تجسُّد السيد المسيح وميلاده من العذراء مريم لأجل خلاصنا) والتى وردت فى الإصحاحين السابع والتاسع.

وأراد الروح القدس بهذا أن يوضح أن رؤية إشعياء للسيد المسيح فى الهيكل وسط تسابيح الملائكة هى التمهيد الطبيعى لنبواته عن **التجسد الإلهى**.

فظهورات السيد المسيح فى العهد القديم كانت تمهيدًا واضحًا لظهوره بالتجسد الفعلى فى **ملء الزمان**.

وكان **ملء الزمان** هو الموعد الذى أعدّ فيه الله الآب كل شيء لإرسال ابنه الوحيد إلى العالم متجسدًا وفاديًا ومخلصًا؛ كقول بولس الرسول: "وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابنهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ... لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ" (غل4: 4، 5).

**ولقداسة البابا شنودة الثالث –أطال الرب حياة قداسته**- تأملات جميلة ونافعة حول موضوع "**ملء الزمان"**، وكيف أعد الله البشرية لاستقبال الكلمة المتجسد بكثير من الرموز والنبوات، وأعد الأشخاص الذين يعاصرون مجيئه فى الجسد مثل العذراء القديسة مريم والقديس يوحنا المعمدان والتلاميذ الرسل القديسين، وحتى هيرودس الملك ويهوذا الإسخريوطى وقيافا وحنانيا وبيلاطس الحاكم الرومانى، وغيرهم الكثيرين، بحيث يؤدى كل واحد من هؤلاء دوره بإرادته الحرة؛ ويكون مسئولاً عن تصرفاته بدون إجبار.. إنها ملحمة رائعة لا يمكن احتواء أبعادها بفكرنا المحدود، ولكننا نقف أمامها مبهورين بما عمله الرب؛ وبما شرحه قداسة البابا.

ميلاد السيد المسيح

وردت فى سفر إشعياء أكثر من نبوة عن ميلاد السيد المسيح. وهذه النبوات لا تتكلم عن ميلاده فقط، بل تتكلم أيضًا عن ألوهيته.

ولابد قبل أن نعرض لهذه النبوات أن نوضح أن السيد المسيح باعتباره "الله الكلمة" له ميلادين (حسب تعليم القديس كيرلس الكبير):

**الميلاد الأول**: من الآب قبل كل الدهور بحسب لاهوته.

**الميلاد الثانى**: من العذراء القديسة مريم فى ملء الزمان بحسب ناسوته.

فالمولود من العذراء مريم هو هو نفسه المولود من الآب.

ولكنه فى ميلاده من العذراء لم يستمد منها ألوهيته. كما أنه فى ميلاده من العذراء مريم لم يستمد ناسوته من مصدر إلهى خارجًا عن العذراء مريم بل من طبيعتها البشرية وبقدرة الروح القدس اتخذ طبيعة بشرية كاملة بلا خطية. **وجعل الناسوت المأخوذ منها خاصًا به جدًا**. ونظرًا لأن كل ما يُنسب إلى ناسوته الخاص يُنسب إليه هو شخصيًا، باعتباره الله الكلمة الذى تجسّد، لذلك دُعيت العذراء مريم والدة الإله (ثيئوطوكوس).

* **النبوة الأولى: "هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابنًا وَتَدْعُو اسمهُ عِمَّانُوئِيلَ**" (إش7: 14). كلمة **"عمانوئيل"** باللغة العبرية فسّرها إنجيل معلمنا متى الرسول أنها تعنى "**الله معنا**" (مت1: 23).

وقد ورد فى العهد القديم كثيرًا أن الله كان يلتقى بشعبه فى خيمة الاجتماع وكان يكلّم موسى النبى من فوق غطاء تابوت العهد بين الكاروبين الذهبيين. ولكن تابوت العهد كان رمزًا للسيد المسيح.. وبداخل التابوت عصا هارون التى أفرخت بدون زرع ولا سقى. وهى ترمز إلى ميلاده من العذراء القديسة مريم بدون زرع بشر. كان الله مع شعبه فى خيمة الاجتماع التى رمزت إلى السيد المسيح. ولكن لم تطلق عبارة "**الله معنا**" على شخص من البشر إلى أن تجسد الله الكلمة فى ملء الزمان من العذراء مريم.

لهذا كان القديس إشعياء النبى عجيبًا فى أقواله حينما كتب "**هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ**" لأنه لم يُسمع منذ الدهر أن عذراء قد حبلت. وكان أعجب عندما أشار إلى أن الابن المولود منها هو "**الله معنا**". ولكن هكذا نطق الروح القدس بفم إشعياء النبى..

* **النبوة الثانية: "لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابنًا وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسمهُ عَجِيبًا مُشِيرًا إِلَهًا قَدِيرًا أَبًا أَبَدِيّاً رَئِيسَ السَّلاَمِ" (إش9: 6).**

إن المولود من العذراء هو ابن الله قبل ميلاده منها، وهو ابن الله وابن الإنسان فى آنٍ واحد بعد ميلاده منها. لأنه هو نفسه المولود من الآب قبل كل الدهور الذى أتى وتجسد من العذراء مريم فى ملء الزمان بميلاده العذراوى العجيب.

قال السيد المسيح لمنوح أبو شمشون فى ظهور من ظهوراته السابقة للتجسد فى العهد القديم: "**لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسمي وَهُوَ عَجِيبٌ؟**" (قض13: 18).

وها هو إشعياء النبى يكرر نفس الأمر ويقول يُدعى اسمه "**عجيبًا**". لقد كان السيد المسيح عجيبًا فى تجسده وفى ميلاده، عجيبًا فى تواضعه، عجيبًا فى محبته، عجيبًا فى تعاليمه، عجيبًا فى إخفاء مجده، عجيبًا فى صلبه وموته وقيامته وصعوده إلى السماوات.. كان عجيبًا فى كل شيءٍ.

مَن صَدّق خبرنا؟!

يقول النبى: **"مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا** **وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ**؟" (إش53: 1)!!.

العبارة تشير إلى أن الأمور التى سيحكى عنها ربما يصعب تصديقها بالنسبة لعامة البشر. ويلزم أن يعين الروح القدس السامع لكى يصدّقها!!.

وفعلاً ربما لا يصدق البعض أن محبة الله تصل إلى درجة أن يبذل ابنه الوحيد الجنس لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية (انظر يو3: 16)

ربما يصعب على البعض أن يصدّق أن "اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ**"** (1تى3: 16). ويصعب عليهم أكثر أن يصدقوا أنه من الممكن أن يحتمل الآلام عوضًا عن الخطاة، أو أن يموت نيابة عنهم بحسب الجسد.

قد يصعب عليهم أن يصدقوا أن الله الابن شخصيًا سوف يتمم الخلاص والفداء ويحتمل كل شيء مهما كان صعبًا وثقيلاً من أجل خلاص البشرية..

ذِرَاعُ الرَّبِّ

إن عبارة **"لِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ**؟" تدل على أن الله نفسه هو الذى سيصنع الخلاص، وسوف تراه كل أطراف الأرض. كما سبق أن قال: **"قَدْ شَمَّرَ الرَّبُّ عَنْ ذِرَاعِ قُدْسِهِ** أَمَامَ عُيُونِ كُلِّ الأُمَمِ فَتَرَى كُلُّ أَطْرَافِ الأَرْضِ خَلاَصَ إِلَهِنَا" (إش52: 10). وهنا يرتبط قول النبى "**قَدْ شَمَّرَ الرَّبُّ عَنْ ذِرَاعِ قُدْسِهِ**" بقوله: **"لِمَنِ** **اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ**" (إش53: 1).

لقد استخدم تعبير **"ذِرَاعُ الرَّبِّ**" ليشير إلى تجسد الابن الوحيد الجنس وإلى كل ما قام به فى عملية الفداء والخلاص. **وكأنه يشبّه الابن بذراع الله الآب.**

كما أن عبارة "**قَدْ شَمَّرَ الرَّبُّ عَنْ ذِرَاعِ قُدْسِهِ**" تشير إلى دخول الابن إلى الزمن ليصنع الفداء فى ملء الزمان. هذا الفداء قد صنعه الله الآب بكل قوة وبكل حكمة وفطنة، كقول معلمنا بولس الرسول: **"**لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ، الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ، الَّتِي أَجْزَلَهَا لَنَا بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَفِطْنَةٍ" (أف1: 6-8).

لقد انتظرت البشرية طويلاً ولمدة آلاف من السنين أن يتدخل الرب لإتمام الفداء. لهذا قال أب الآباء يعقوب على فراشه عند موته: **"لِخَلاَصِكَ انْتَظَرْتُ يَا رَبُّ**" (تك49: 18). فبالرغم من أن السيد المسيح قد ظهر له، وصارعه طوال الليل، وباركه، وأعطاه اسمًا جديدًا (انظر تك32: 24-28)؛ **إلا أن ذلك لم يكن تجسدًا للابن الوحيد بل ظهورًا فقط ولم يتحقق الفداء بواسطة هذا الظهور**.

كان يلزم الإعداد لمسألة الخلاص على مدى عدة آلاف من السنين بواسطة الكثير من الرموز، والنبوات، والظهورات، والأحداث اليقينية التى دُونَت فى الأسفار المقدسة، حتى تتمكن البشرية من تصديق تجسد الله الكلمة والابن وآلامه وموته على الصليب. وبالرغم من ذلك كله يقول إشعياء النبى: **"**مَنْ صَدَّقَ **خَبَرَنَا** وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟!" (إش53: 1)..

الخبر العجيب

فما هو الخبر العجيب الذى تحدث عنه النبى؟ إن **الخبر العجيب** الذى بدأ به تنفيذ رحلة الخلاص؛ **كان هو البشارة بميلاد السيد المسيح من العذراء مريم** إذ يتجسد متأنسًا منها بفعل الروح القدس. الأمر الذى لم يحدث من قبل فى كل تاريخ البشرية ولن يتكرر، وهو أن تحبل العذراء بدون زرع بشر وتلد ابنًا ذكرًا؛ طفلاً حقيقيًا؛ هو هو نفسه الله الكلمة الذى تجسد فى ملء الزمان من أجل خلاصنا.

وقد أشارت رموز العهد القديم إلى هذا الأمر حينما أفرخت عصا هارون الجافة وأزهرت وأثمرت بدون غرس ولا سقى كما هو مكتوب فى سفر العدد لموسى النبى "فَكَلمَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيل، فَأَعْطَاهُ جَمِيعُ رُؤَسَائِهِمْ عَصًا عَصًا لِكُلِّ رَئِيسٍ حَسَبَ بُيُوتِ آبَائِهِمِ. اثنتَيْ عَشَرَةَ عَصًا. وَعَصَا هَارُونَ بَيْنَ عِصِيِّهِمْ. فَوَضَعَ مُوسَى العِصِيَّ **أَمَامَ الرَّبِّ** فِي خَيْمَةِ الشَّهَادَةِ. وَفِي الغَدِ دَخَل مُوسَى إِلى خَيْمَةِ الشَّهَادَةِ **وَإِذَا عَصَا هَارُونَ لِبَيْتِ لاوِي قَدْ أَفْرَخَتْ. أَخْرَجَتْ فُرُوخًا وَأَزْهَرَتْ زَهْرًا وَأَنْضَجَتْ لوْزًا**. فَأَخْرَجَ مُوسَى جَمِيعَ العِصِيِّ مِنْ أَمَامِ الرَّبِّ إِلى جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيل، فَنَظَرُوا وَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ عَصَاهُ. وَقَال الرَّبُّ لِمُوسَى: رُدَّ عَصَا هَارُونَ إِلى أَمَامِ الشَّهَادَةِ لأَجْلِ الحِفْظِ عَلامَةً لِبَنِي التَّمَرُّدِ فَتَكُفَّ تَذَمُّرَاتُهُمْ عَنِّي لِكَيْ لا يَمُوتُوا" (عد17 :6-10).

نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ

يقول إشعياء النبى: "نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْقٍ مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ" (إش53: 2) تشير عبارة "**نَبَتَ قُدَّامَهُ**" إلى اهتمام الآب بتدبير تجسد ابنه الوحيد الجنس **أى أن الابن فى تجسده قد نبت أمام الآب الذى أرسله وهيأ له جسدًا بفعل الروح القدس**.

إن عبارة إشعياء النبى **"نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ**" ترتبط ارتباطًا وثيقًا بعبارتين فى أسفار موسى النبى كما أوردنا فى سفر العدد:

1. "وَضَعَ مُوسَى العِصِيَّ **أَمَامَ الرَّبِّ"** ترتبط بكلمة "**قُدَّامَهُ**" فى سفر إشعياء.
2. **"أَفْرَخَتْ. أَخْرَجَتْ فُرُوخًا**" ترتبط بكلمة **"كَفَرْخٍ**" ونلاحظ أن ما ورد فى سفر العدد قد ذكر تدرجًا عجيبًا أن عصا هارون قد **"أَفْرَخَتْ. أَخْرَجَتْ فُرُوخًا وَأَزْهَرَتْ زَهْرًا وَأَنْضَجَتْ لوْزًا**" أى ثلاث مراحل وهى الأغصان والزهر واللوز. بمعنى أنها لم تخرج فروعًا فقط، ولم تزهر زهرًا فقط، بل **وصلت إلى مرحلة الإثمار**، كقول القديسة أليصابات والدة القديس يوحنا المعمدان بالروح القدس للقديسة العذراء مريم "َمُبَارَكَةٌ هِيَ **ثَمَرَةُ بَطْنِكِ**!" (لو1: 42).

وَكَعِرْقٍ مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ

الجميل فى نبوة إشعياء إنه لم يكتف بالقول: "نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ" وإنما أضاف "وَكَعِرْقٍ مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ" وذلك لكى يكتمل التطابق فى المعنى بين الرمز والنبوة والمرموز إليه. إذ أن عصا هارون كانت جافة أى يابسة قبل أن تفرخ وتزهر وتنضج لوزًا. واستخدم هنا إشعياء تشبيه الأرض اليابسة. لتكتمل فكرة أن العصا قد أفرخت وأزهرت وأثمرت بدون غرس ولا سقى**.**

لَيْتَكَ تَشُقُّ السَّمَاوَاتِ وَتَنْزِلُ

يقول إشعياء النبى قرب نهاية السفر المبارك مخاطبًا الرب الإله: "لَيْتَكَ تَشُقُّ السَّمَاوَاتِ وَتَنْزِلُ! مِنْ حَضْرَتِكَ تَتَزَلْزَلُ الْجِبَالُ. كَمَا تُشْعِلُ النَّارُ الْهَشِيمَ وَتَجْعَلُ النَّارُ الْمِيَاهَ تَغْلِي لِتُعَرِّفَ أَعْدَاءَكَ اسْمَكَ لِتَرْتَعِدَ الأُمَمُ مِنْ حَضْرَتِكَ. حِينَ صَنَعْتَ مَخَاوِفَ لَمْ نَنْتَظِرْهَا نَزَلْتَ. تَزَلْزَلَتِ الْجِبَالُ مِنْ حَضْرَتِكَ. وَمُنْذُ الأَزَلِ لَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يُصْغُوا. لَمْ تَرَ عَيْنٌ إِلَهًا غَيْرَكَ يَصْنَعُ لِمَنْ يَنْتَظِرُهُ" (إش64: 1-4)

ونقول نحن فى القداس الباسيلى مخاطبين الآب السماوى: {وفى آخر الأيام **ظهرت لنا** نحن الجلوس فى الظلمة وظلال الموت **بالظهور المحيى الذى لابنك الوحيد** ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، هذا الذى من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم **تجسد وتأنس**} (بداية صلوات التقديس).

ما ورد فى الفقرة المذكورة من سفر إشعياء هو **نبوات واضحة عن ظهور الله على الأرض بتجسد ابنه الوحيد الجنس الرب يسوع المسيح**. وسوف نرى ما فى هذه العبارات من معانٍ نبوية.

"لَيْتَكَ تَشُقُّ السَّمَاوَاتِ وَتَنْزِلُ" (إش64: 1) لا نستطيع أن نفهم هذه العبارة إلا فى ضوء نزول الابن الوحيد من السماء وتجسده وتأنُسّه من القديسة مريم العذراء.

لهذا نقول فى قانون الإيمان عن السيد المسيح: [هذا الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس].

والنبى إشعياء يتوسل إلى الله أن يأتى إلى عالمنا المحتاج إلى الخلاص فيقول "لَيْتَكَ تَشُقُّ السَّمَاوَاتِ **وَتَنْزِلُ".**

كان هناك حاجزاً بين السماء والأرض يفصل بين الإنسان والله. وقد بدأ الله الآب يشق هذا الحاجز حينما أرسل ابنه الوحيد إلى العالم كقول بولس الرسول: "لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، **أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ**، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ" (غل 4: 4-5). لهذا صلى القديس سمعان الشيخ حينما حمل الطفل يسوع المسيح على ذراعيه وبارك الله قائلاً: "الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ. لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ. الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ وَمَجْداً لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيل" (لو2: 29-31).

بدأ الله فى **شق** الحاجز حسب التدبير فى قصده؛ ولكن أعلن ذلك بصورة ملموسة فى واقع الأحداث عندما **انشق حجاب الهيكل** إلى اثنين من فوق إلى أسفل وقت أن سلّم السيد المسيح روحه البشرى الطاهر المتحد باللاهوت على الصليب؛ صانعاً الفداء، ومصالحاً الآب مع البشرية إذ أن "اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ" (2كو5: 19).

ولكن إشعياء النبى اعتبر نزول السيد المسيح إذ أخلى نفسه آخذًا صورة عبد هو نوع من انشقاق للسماء لكى ينزل الرب الإله و"يَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ الذى تفسيره الله معنا" (مت 1: 23). ولا يمكن أن نفصل التجسد عن الصليب والفداء، ولا عن القيامة والصعود، لأن هذا هو عمل الفداء الخلاصى المتكامل.

وليس ذلك فقط، فقد **انشقت** السماوات على مرأى من يوحنا المعمدان عند عماد السيد المسيح فى نهر الأردن وحل الروح القدس على رأسه بهيئة جسمية مثل حمامة وصوت الآب من السماء يقول: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ" (مت3: 17).

لقد **انشق** نهر الأردن عندما نزل الكهنة حاملو تابوت العهد فيه ليفتح الطريق إلى أرض الميعاد ولكن عندما نزل تابوت العهد الحقيقى إلى مياه الأردن لم تنشق المياه بل **انشقت** السماوات ليفتح لنا السيد المسيح الطريق إلى السماء عن طريق سر العماد المقدس الذى به ننال التبنى.

ويمكننا أن نفهم أيضاً أن السماوات قد **انشقت** عند صعود السيد المسيح جسدياً وهو مالئ الوجود كله بلاهوته. ولذلك صاح الملائكة المصاحبون للابن المنتصر على الهاوية والموت فى صعوده مخاطبين الملائكة حراس الأبواب السمائية "اِرْفَعْوا أَيّهَا الرُؤسَاء أبوابكم، وَارْتَفِعْى أَيَّتُهَا الأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّة، فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْد" وعندما تساءل الحراس "مَنْ هُوَ هَذَا مَلِكُ الْمَجْدِ؟" أجابوهم: "الرَّبُّ العزيز الْقَدِيرُ، الرَّبُّ الْقوى فِي الحروب.. رَبُّ الْقوات، هذا هُوَ مَلِكُ الْمَجْدِ" (مز24: 7-10)[[1]](#footnote-2). ويقول معلمنا بولس الرسول عن دخول السيد المسيح إلى المقدس السماوى "تَدْخُلُ إِلَى مَا دَاخِلَ الْحِجَابِ، حَيْثُ دَخَلَ يَسُوعُ كَسَابِقٍ لأَجْلِنَا" (عب 6: 19، 20).

الباب الرابع

نبوات عن

معمودية السيد المسيح

وبداية خدمته فى الجليل

صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ

نلاحظ أن عبارة "**صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ"** قد تكررت فى الأناجيل الأربعة استنادًا إلى نبوة إشعياء النبى التالية:

"**صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ** أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. قَوِّمُوا فِي الْقَفْرِ سَبِيلاً لإِلَهِنَا. كُلُّ وَطَاءٍ يَرْتَفِعُ وَكُلُّ جَبَلٍ وَأَكَمَةٍ يَنْخَفِضُ وَيَصِيرُ الْمُعَوَّجُ مُسْتَقِيمًا وَالْعَرَاقِيبُ سَهْلاً. **فَيُعْلَنُ مَجْدُ الرَّبِّ وَيَرَاهُ كُلُّ بَشَرٍ** جَمِيعًا لأَنَّ فَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ" (إش40: 3-5).

أشارت الأناجيل المقدسة إلى نبوة إشعياء النبى عن يوحنا المعمدان الذى قال عنه الملاك فى بشارته لأبيه زكريا الكاهن إنه يتقدم أمام الرب **"بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ لِيَرُدَّ قُلُوبَ الآبَاءِ إِلَى الأَبْنَاءِ وَالْعُصَاةَ إِلَى فِكْرِ الأَبْرَارِ لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْبًا مُسْتَعِدّاً" (لو1: 17**).

وقد ورد فى **إنجيل معلمنا متى الرسول** الإشارة التالية إلى نبوة إشعياء النبى: "وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ يَكْرِزُ فِي بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ. قَائِلاً: تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّماوَاتِ. فَإِنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي قِيلَ عَنْهُ **بِإشعياء النَّبِيِّ**: **صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ** أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً" (مت3: 1-3).

**وفى إنجيل معلمنا مرقس الرسول ورد فى بدايته:**

"كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ **فِي الأَنْبِيَاءِ**: هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ. **صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ** أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً. كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَيَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا" (مر1: 2-4).

**وإنجيل معلمنا لوقا البشير ورد فيه:**

"كَانَتْ كَلِمَةُ اللهِ عَلَى يُوحَنَّا بْنِ زَكَرِيَّا فِي الْبَرِّيَّةِ. فَجَاءَ إِلَى جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالأُرْدُنِّ يَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ **إشعياء النَّبِيِّ**: **صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ** أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً. كُلُّ وَادٍ يَمْتَلِئُ وَكُلُّ جَبَلٍ وَأَكَمَةٍ يَنْخَفِضُ وَتَصِيرُ الْمُعْوَجَّاتُ مُسْتَقِيمَةً وَالشِّعَابُ طُرُقًا سَهْلَةً. وَيُبْصِرُ كُلُّ بَشَرٍ خَلاَصَ اللهِ" (لو3: 2-6).

**أما إنجيل معلمنا يوحنا الرسول**

فقد أورد حوارًا بين يوحنا المعمدان واليهود الذين سألوه: "مَاذَا تَقُولُ عَنْ نَفْسِكَ؟ قَالَ: أَنَا **صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ**: قَوِّمُوا طَرِيقَ الرَّبِّ كَمَا قَالَ **إشعياء النَّبِيُّ**" (يو1: 22، 23).

# يُعْلَنُ مَجْدُ الرَّبِّ وَيَرَاهُ كُلُّ بَشَرٍ

نبوة إشعياء ربطت بين رسالة يوحنا المعمدان والإعداد لخدمة السيد المسيح بالمناداة بمعمودية التوبة "أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ". وأشارت أيضًا بوضوح إلى ظهور مجد الرب لجميع البشر كوعد من فم الربمع الإشارة إلى أن المسيح هو كلمة الله بقوله: **"وَيَرَاهُ كُلُّ بَشَرٍ** جَمِيعًا لأَنَّ فَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ**"**.

مثلما قال بولس الرسول عن الآب: "كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابنهِ" (عب1: 2). بمعنى أن المسيح هو **كلمة الله** وهو "**صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ**" (كو1: 15).

ولكن لم ترد هذه النبوة **فقط فى سفر إشعياء**، بل تنبأ **ملاخى النبى** أيضًا قائلاً: "**هاأَنَذَا أُرْسِلُ مَلاَكِي فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي**. وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ وَمَلاَكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ. هُوَذَا يَأْتِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ" (ملا3: 1).

لذلك فإن القديس مرقس قد ضم فى إنجيله النبوتين معًا، **نبوة ملاخى النبى ونبوة إشعياء** **النبى**، وقال بصيغة الجمع: "كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ **فِي الأَنْبِيَاءِ**" (مر1: 2).

واقتبس من ملاخى وكتب عبارته "هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ" (مر1: 2)، وإن كانت فى إنجيل مرقس قد جاءت فى صيغة الآب السماوى مخاطبًا الابن وفى سفر ملاخى وردت فى صيغة الابن كمتكلم "هاأنذا أُرْسِلُ مَلاَكِي فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي".

واقتبس من إشعياء وكتب عبارته "**صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ** أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً" (مر1: 3).

ونلاحظ فى نبوة ملاخى أن كلمة "**مَلاَكِي**" تشير إلى يوحنا المعمدان، وكلمة "**َمَلاَكُ الْعَهْدِ**" تشير إلى السيد المسيح. على اعتبار أن كلمة "**ملاك**" فى اللغة العبرية "%a;l.m;" تعنى "**سفير أو مرسل أو مُفوّض"**. ولا أحد ينكر أن السيد المسيح كان **سفيرًا فوق العادة مرسلاً** من الآب السماوى لخلاص البشرية.

لقد اهتم الإنجيليون الأربعة بنبوة إشعياء النبى عن يوحنا المعمدان وإرساليته كمقدمة تُمهّد لظهور السيد المسيح الله الكلمة المتجسد الذى قال عنه يوحنا الإنجيلى: "وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقّاً" (يو1: 14).

رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّه مَسَحَنِي

"**رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَسْبِيِّينَ بِالْعِتْقِ وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ. لأُنَادِيَ بِسَنَةٍ مَقْبُولَةٍ لِلرَّبِّ" (إش61: 1، 2).**

حينما دخل السيد المسيح مجمع اليهود دفع إليه الخادم سفر إشعياء فقام ليقرأ. وجاءت قراءته فى هذا الموضع من السفر. ثم طوى السفر وسلّمه إلى الخادم وجلس وقال لليهود: "إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هَذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ" (لو4: 21).

وبهذا أشار السيد المسيح إلى أن هذه النبوة فى سفر إشعياء لم تكن عن إشعياء النبى كما لو كان هو المتكلّم، ولكن تكلّم إشعياء بلسان السيد المسيح مشيرًا إلى مسحه بالروح القدس فى نهر الأردن واستعلانه مسيحًا للرب.



ومما يثبت صحة كلام السيد المسيح فى سمع اليهود أن يوحنا المعمدان قد شهد بذلك وقال:

"َأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ. لَكِنْ لِيُظْهَرَ لإِسْرَائِيلَ لِذَلِكَ جِئْتُ أُعَمِّدُ بِالْمَاءِ.. إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ. وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ. لَكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي لأُعَمِّدَ بِالْمَاءِ ذَاكَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلاً وَمُسْتَقِرّاً عَلَيْهِ فَهَذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ اللَّهِ" (يو1: 31-34).

وهكذا أثبت يوحنا المعمدان كنبى؛ أن نبوة إشعياء النبى قد سجّلها الوحى الإلهى بالتحديد عن السيد المسيح الذى اعتمد من يوحنا فى نهر الأردن.

والجميل فى نبوة إشعياء إنها لم تتكلم عن مسح السيد المسيح فقط؛ بل شرحت أبعاد المسحة والإرسالية، وهذا يتضح من الربط الموجود فى النبوة "رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ **لأَنَّ** الرَّبَّ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ...". والربط المقصود هو كلمة "**لأَنَّ**" فى عبارة "**لأَنَّ** الرَّبَّ مَسَحَنِي".

مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ

يقول المزمور "من أجل **شقاء المَساكين وتنهد البائسين**؛ الآن أقوم يقول الرب، أصنَع الخلاص علانية" (مز11: 5).

ويقول الرب فى سفر الخروج: "إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ. فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ" (خر3: 7، 8).

حقًا كان البشر **مساكين** وهم محكوم عليهم بالموت والهلاك الأبدى، ينتظرون تحقيق وعود الرب بالخلاص.

قال يعقوب أب الآباء على فراش موته: "**لِخَلاَصِكَ** انْتَظَرْتُ يَا رَبُّ" (تك49: 18). "**الْخَلاَصَ** الَّذِي فَتَّشَ وَبَحَثَ عَنْهُ أَنْبِيَاءُ، الَّذِينَ تَنَبَّأُوا عَنِ النِّعْمَةِ الَّتِي لأَجْلِكُمْ، بَاحِثِينَ أَيُّ وَقْتٍ أَوْ مَا الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَدُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الْمَسِيحِ الَّذِي فِيهِمْ، إِذْ سَبَقَ فَشَهِدَ بِالآلاَمِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ وَالأَمْجَادِ الَّتِي بَعْدَهَا" (1بط1: 10، 11)

لقد بشر السيد المسيح المساكين الأحياء من البشر وبدأ يكرز ويقول: "اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللَّهِ فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ" (مر1: 15).

واستمر السيد المسيح أكثر من ثلاث سنوات يبشر بالخلاص للبشر الأحياء، ثم "ذَهَبَ فَكَرَزَ لِلأَرْوَاحِ الَّتِي فِي السِّجْنِ" (1بط3: 19)، أى أنه نزل إلى الجحيم من قبل الصليب وكرز للأرواح التى فى الجحيم وبشرهم بالخلاص الذى تم.

وحتى إيليا النبى الذى صعد حيًا إلى السماء كان ينتظر إتمام الفداء لذلك فعندما ظهر مع موسى أثناء تجلى السيد المسيح على الجبل "تَكَلَّمَا عَنْ خُرُوجِهِ الَّذِي كَانَ عَتِيداً أَنْ يُكَمِّلَهُ فِي أُورُشَلِيمَ" (لو9: 31). أى كانا يتكلمان معه عن الخلاص بالصليب الذى كان الرب عتيدًا أن يكمله فى أورشليم.

وقد تنبأ زكريا الكاهن والد يوحنا المعمدان فى يوم ميلاده قائلاً: "وَأَنْتَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ نَبِيَّ الْعَلِيِّ تُدْعَى لأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ لِتُعِدَّ طُرُقَهُ. لِتُعْطِيَ شَعْبَهُ مَعْرِفَةَ الْخَلاَصِ بِمَغْفِرَةِ خَطَايَاهُمْ. بِأَحْشَاءِ رَحْمَةِ إِلَهِنَا الَّتِي بِهَا افْتَقَدَنَا الْمُشْرَقُ مِنَ الْعَلاَءِ. **لِيُضِيءَ عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ وَظِلاَلِ الْمَوْتِ** لِكَيْ يَهْدِيَ أَقْدَامَنَا فِي طَرِيقِ السَّلاَمِ" (لو1: 76-79).

كانت البشرية تجلس **فى الظلمة وظلال الموت** وتحركت أحشاء إلهنا وتحنن وأرسل ابنه مولودًا من امرأة مولودًا تحت الناموس ليتمم الفداء وننال التبنى.

هؤلاء هم المساكين الذين جاء الرب من أجلهم ليرفعهم من مذلتهم وعبوديتهم، ويمنحهم البنوة وحياة الحرية والقداسة.

أَرْسَلَنِي لأَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ

إذن فالمسألة ليست مجرد مسح الرب يسوع فى نهر الأردن ولكن إرساله بدأ بالتجسد؛ إذ "أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ" (غل4: 4). لذلك قال يوحنا المعمدان عن السيد المسيح: "الَّذِي يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ" (يو3: 31). أى أن السيد المسيح قد جاء من السماء مُرسلاً من الآب والروح القدس.

مَسَحَنِي

فى سن الثلاثين عامًا كان بنو هرون يبدأون خدمتهم الكهنوتية فى خيمة الاجتماع أو فى الهيكل بأورشليم. وهكذا بدأ السيد المسيح خدمته الخلاصية فى السن الثلاثين عامًا من جهة ولادته الإنسانية من العذراء مريم.

ورقم ثلاثين لا يخفى أنه حاصل 3×10 (ثلاثة × عشرة). ورقم ثلاثة يشير للثالوث القدوس، أما رقم عشرة فيشير إلى كمال العدد (العد على أصابع اليدين)، ومضاعفاته تُكوِّن الأرقام الحسابية.

فى سن الثلاثين فى حياة السيد المسيح ظهر الثالوث عند عماد السيد المسيح فى نهر الأردن على يد يوحنا المعمدان. فالسماوات قد انشقت وجاء صوت الآب من السماء **"**هَذَا هُوَ ابني الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ" (مت3: 17) والروح القدس نزل من السماوات بهيئة جسمية مثل حمامة واستقرت على رأس السيد المسيح.

"رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّه مَسَحَنِي" (إش61: 1)، **لقد مسح الآب بالروح القدس السيد المسيح (ناسوتيًا) ملكًا وكاهنًا ونبيًا**. وهذا ما أشارت إليه هدايا المجوس عند زيارتهم للسيد المسيح بعد ولادته وسجودهم له.

**فالذهب كان إشارة إلى ملكه، واللبان إشارة إلى كهنوته، والمر إشارة إلى آلامه** التى تنبأ عنها وخاصة موته بالصليب وقيامته فى اليوم الثالث.

فالسيد المسيح **مارس الكهنوت** على طقس ملكى صادق وهو رئيس الكهنة الأعظم. **ومارس المُلك** عندما مَلَكَ على خشبة الصليب ومَلَكَ على قلوب المؤمنين باسمه وهو فى نفس الوقت ملك الملوك ورب الأرباب وليس ملكًا فقط. **ومارس النبوة** حينما تنبأ عن آلامه وصلبه وموته وقيامته، وعن خراب أورشليم، وعن نهاية العالم، ولكنه فى نفس الوقت هو رب الأنبياء ومرسلهم.

فى نهر الأردن ربط السيد المسيح بين المعمودية والثالوث القدوس، لذلك قال لتلاميذه: "فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسم الآبِ وَالابن وَالرُّوحِ الْقُدُسِ" (مت27: 19).

**فالمعمودية وهى معمودية واحدة يجب أن تكون على اسم الثالوث القدوس بثلاث غطسات كل غطسة منها على اسم أحد الأقانيم الثلاثة. فوحدانية المعمودية تشير إلى وحدانية الثالوث فى الجوهر، وثلاثية الغطسات تشير إلى تمايز الأقانيم الثلاثة فى الإله الواحد المثلث الأقانيم**.

وقد مهّد السيد المسيح لفكرة الخلاص بالمعمودية؛ بإرساله يوحنا المعمدان ليعمّد بالماء لمغفرة الخطايا، وفى نفس الوقت الذى كانت الذبائح الحيوانية تقدَّم فى الهيكل أيضًا لغفران الخطايا. فالذبائح كانت إشارة إلى ذبيحة الصليب، ومعمودية يوحنا كانت ترمز لمعمودية العهد الجديد بالماء والروح. وكما سارت معمودية يوحنا جنبًا إلى جنب مع الذبائح فى الهيكل؛ هكذا فإن المعمودية المسيحية تستمد فاعليتها من ذبيحة الصليب باستحقاقات دم المسيح، لأن المعمودية هى اتحاد بالمسيح بشبه موته وقيامته.

ولما طُعن السيد المسيح بالحربة فى جنبه بعد أن سلّم الروح على الصليب جرى من جنبه المقدس دم وماء "وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ" (1يو5: 8) والماء والروح أى المعمودية المسيحية، والدم أى دم المسيح على الصليب وفى سر الإفخارستيا.

هَذَا هُوَ ابني الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ

عندما قَبِل السيد المسيح أن ينزل إلى مياه المعمودية فى وسط الخطاة جاءت شهادة الآب له وهو صاعد من الماء أنه هو **البار الوحيد** الذى بلا خطية "هَذَا هُوَ ابني الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ" (مت3: 17)، وهو موضوع سرور الآب منذ الأزل باعتبار أن الآب يرى فيه كل كمالات الجوهر الإلهى مثلما قال القديس أثناسيوس الرسولى: وهو أيضًا موضوع سرور الآب باعتباره آدم الجديد ونائب البشرية ورأس الكنيسة الذى صنع كل مشيئة الآب وهو فى الهيئة كإنسان أى بحسب ناسوته مقدمًا طاعة كاملة لأبيه السماوى ليشفى عصيان آدم وباقى البشر.

**إذن فالسيد المسيح هو موضوع سرور الآب بحسب لاهوته، وأيضًا بحسب ناسوته. فهو موضوع سرور الآب من كل ناحية.**

لقد جعل السيد المسيح الإنسان عمومًا فى شخصه المبارك مقبولاً لدى الآب، وموضوع فرحه وسروره ورضاه، بعد أن كان الإنسان تحت الغضب الإلهى الذى أوجدته خطية البشرية.

لذلك نصلّى فى القداس الغريغورى ونقول: [**باركت طبيعتى فيك، أكملت ناموسك عنى، أريتنى القيام من سقطتى**].

ما بين تعبير "عبدى" وتعبير "ابنى" أو "فتاى"

وردت الآية التالية عن السيد المسيح فى سفر إشعياء النبى وهو قول الآب بفم إشعياء: "**هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ"** (إش42: 1).

لقد تعجب أصحاب موقع يهاجم الكتاب المقدس على الإنترنت، وقد يتعجب معهم البعض أيضًا، من قول الله الآب عن ابنه الوحيد المتجسد لقب "**عَبْدِي**". ولكن نحن نرد على تعجبهم فنقول بكل وضوح وصراحة إن هذا اللقب يخص السيد المسيح من حيث إنسانيته فقط، مثلما شرح القديس بولس الرسول عن السيد المسيح: "الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ مساواته لِلَّهِ اختلاسًا. **لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ.** وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ**"** (فى2: 6-8).

إذن السيد المسيح لم تكن له طبيعة البشر قبل التجسد؛ لذلك يقول عنه معلمنا بولس الرسول: "**إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ**".. وكلمة "**صُورَةِ**" التى وردت فى هذا النص باللغة اليونانية هى "مورفى" morfh,**،** وتعنى الصورة التى تحمل نفس الطبيعة التى للأصل. وهو بذلك مساوٍ للآب فى الطبيعة وفى المجد بحسب لاهوته، ولم يحسب هذه المساواة اختلاسًا؛ لذلك كان من المقبول بالنسبة له أن يخلى ذاته ويخفى مجده الإلهى الأزلى ويوجد فى "صورة عبد" بأن يأخذ الطبيعة البشرية الكاملة من السيدة العذراء مريم بفعل الروح القدس.. وبذلك وُجد هو نفسه فى الهيئة كإنسان.

وبتجسد الله الابن الكلمة أمكن أن يخاطب الآب بقوله: "**إلهى**"؛ سواء فى صرخته الشهيرة على الصليب "**إِلَهِي! إِلَهِي** لِمَاذَا تَرَكْتَنِي" (مز22: 1، مت27: 46، مر15: 34)، أو فى حديثه عن الآب مع مريم المجدلية بعد قيامته المجيدة من الأموات: "إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ **وَإِلَهِي** وَإِلَهِكُمْ" (يو20: 17).

وقد ورد أيضًا فى نفس سفر إشعياء لقب "**عبدى**" على فم الآب بقوله: "**وَعَبْدِي** الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا" (إش53: 11).

المسألة بمنتهى البساطة أن السيد المسيح هو الله الابن من حيث لاهوته ويحمل أيضًا لقب "عبد" من حيث ناسوته، لأنه صار إنسانًا حقيقيًا وشابهنا فى كل شيء ما خلا الخطيئة وحدها وبذلك أمكنه أن ينوب عن البشرية حاملاً خطايا العالم لكى يكفّر عنها ويصالحنا مع الله أبيه بدم صليبه المحيى.

ولقب "**عَبْدِي"** فى سفر إشعياء فى النص العبرى هو " db,[, عيبيد"، باللغة العبرية. وورد فى النص اليونانى لترجمة سفر إشعياء فى الترجمة السبعينية " pai/jبيس" والكلمة اليونانية معناها عبد أو خادم أو غلام أو فتى.. ونظرًا لأن أناجيل العهد الجديد قد كتبت باللغة اليونانية واقتبس الإنجيليون النبوات من سفر إشعياء من الترجمة السبعينية؛ لذلك وجد مترجم العهد الجديد نفسه أمام كلمة تحمل عدة معانى. ولأن كلمة "**عبد**" فى اليونانية هى أيضًا "ذولوس"dou/loj مثل "خريستوذولو" أى عبد المسيح الذى يتسمى به كثير من اليونانيين؛ لذلك رجّح المترجم للعهد الجديد إلى اللغة العربية فى الترجمة البيروتية ترجمة كلمة "**بيس**" **pai/j** إلى "**فتى**" عند اختياره لأحد معانيها الأربعة.

الترجمة العربية فى العهد القديم وفى العهد الجديد

وللأسف فقد أقام البعض الدنيا ولم يقعدوها على الإنترنت بشأن الترجمة العربية[[2]](#footnote-3) للاقتباس الموجود فى العهد الجديد من سفر إشعياء النبى بدعوى أنه قد جرى تحريف النبوة من "**هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي**" (إش42: 1) إلى "**هوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ**.." (مت12: 18)، وذكروا أن هذا التحريف هو بقصد الإدعاء بأن المسيح هو ابن الله وليس عبد الله. ولكن طبعًا لقب ابن الله قد ورد فى الإنجيل صراحة مرات عديدة. وتحقيقًا لنفس النبوة عندما اعتمد السيد المسيح فى نهر الأردن على يد يوحنا المعمدان وعند صعوده من الماء إذا السماوات قد انفتحت له وصوت من السماء قائلاً: "**هَذَا هُوَ ابني الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ**" (مت3: 17) وهى نفس عبارة "**هوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي**" (مت12: 18) الواردة فى الإنجيل أيضًا.

وعلى العموم فقد ورد فى سفر إشعياء قول الله الآب: "**لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابنا وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسمهُ عَجِيبًا مُشِيرًا إِلَهًا قَدِيرًا أَبًا أَبَدِيّاً رَئِيسَ السَّلاَمِ**" (إش9: 6). فما قول هؤلاء الذين يهاجمون ترجمة العهد الجديد وما فيه من الاقتباس المذكور من سفر إشعياء.. ما قولهم فى هذا النص الصريح فى سفر إشعياء أن **المسيح هو ابن الله** فى قوله: "**يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابنًا..**"..

**وهل يقبل هؤلاء المشككون أيضًا ما ورد فى سفر إشعياء عن السيد المسيح فى قول الله الآب عنه: "وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا**. لِذَلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الأَعِزَّاءِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ **وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ**" (إش53: 11، 12)، "ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ. وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ. أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحُزْنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ" (إش53: 7-10). وقد وردت كلمة "عبدى" باليونانى فى الترجمة السبعينية لهذا النص (إش53: 11) كفعل " douleu,w ذوليفو"، مثل الاسم "ذولوس" أى عبد وليس "بيس" أى فتى أو غلام أو عبد. وهنا نرى روعة الترجمة السبعينية المرتشدة بالروح القدس. إذ فى عبارة " عَبْدِي.. الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي" (إش42: 1) استخدمت كلمة "بيس". وفى عبارة "عَبْدِي الْبَارُّ.. وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ" (إش53: 11، 12) استخدمت كلمة "ذولوس". لأن الأولى تشير إلى بر المسيح الشخصى والثانية تشير إليه كحامل لخطايا غيره. وهكذا تأتى الترجمة السبعينية كموسيقى لسيمفونية الوحى الذى سجله إشعياء بالشعر العبرى.

إذا كان السيد المسيح قد أخذ لقب "عبد" فإن هذا اللقب قد اقترن بنبوات واضحة عن صلبه، وأنه قد مات ودُفن فى القبر، وأنه بموته قد كفّر عن خطايا العالم. ونحن لا يضرنا شيء أن يقول الآب عنه "عبدى" لأننا نؤمن بتجسده الحقيقى وبأنه أخذ صورة عبد ليخلصنا، ولكنه هو نفسه بحسب لاهوته لا يتألم ولا يموت مثلما لا تموت أرواح الشهداء إذا ماتت أجسادهم، ولا يقع عليها الضرب والجراحات أثناء تعذيب هذه الأجساد.

جليل الأمم

كتب إشعياء النبى عن معمودية السيد المسيح وبداية خدمته فقال: "وَلَكِنْ لاَ يَكُونُ ظَلاَمٌ لِلَّتِي عَلَيْهَا ضِيقٌ. كَمَا أَهَانَ الزَّمَانُ الأَوَّلُ أَرْضَ زَبُولُونَ وَأَرْضَ نَفْتَالِي يُكْرِمُ الأَخِيرُ طَرِيقَ الْبَحْرِ عَبْرَ الأُرْدُنِّ **جَلِيلَ الأُمَمِ**. اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظَِلاَلِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ" (إش9: 1، 2).

وقد أورد إنجيل متى عماد السيد المسيح ومن بعده صعوده إلى البرية إلى جبل التجربة ثم بعد ذلك موضع سكناه وخدمته الأولى **فى الجليل** "وَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ أَنَّ يُوحَنَّا أُسْلِمَ انْصَرَفَ **إِلَى الْجَلِيلِ**. وَتَرَكَ النَّاصِرَةَ وَأَتَى فَسَكَنَ فِي كَفْرِنَاحُومَ الَّتِي عِنْدَ الْبَحْرِ فِي تُخُومِ زَبُولُونَ وَنَفْتَالِيمَ. لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإشعياء النَّبِيِّ: أَرْضُ زَبُولُونَ وَأَرْضُ نَفْتَالِيمَ طَرِيقُ الْبَحْرِ عَبْرُ الأُرْدُنِّ **جَلِيلُ الأُمَمِ،** الشَّعْبُ الْجَالِسُ فِي ظُلْمَةٍ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا وَالْجَالِسُونَ فِي كُورَةِ الْمَوْتِ وَظِلاَلِهِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ" (مت4: 12-16).

فى **منطقة الجليل** علّم الرب يسوع كثيرًا، وألقى موعظته على الجبل، وصنع معجزات كثيرة حتى إن ثمانى عشر من ثلاث وثلاثين معجزة من المعجزات المسجّلة فى الأناجيل الأربعة للسيد المسيح قد صنعها فى تلك المنطقة، إلى جوار آلاف المعجزات التى ذُكرت إجمالاً.

وعبارة "**جَلِيلُ الأُمَمِ**" تشير إلى أن تلك المنطقة قد سكن فيها كثير من الأمم من غير الشعب الإسرائيلى وخالطوهم وكان يُظن أنه لا يمكن أن يقوم نبى **من الجليل**. لهذا قال رؤساء الكهنة والفريسيون لنيقوديموس عندما دافع عن السيد المسيح: "**فَتِّشْ وَانْظُرْ! إِنَّهُ لَمْ يَقُمْ نَبِيٌّ مِنَ الْجَلِيلِ**" (يو7: 52).

لذلك قال إشعياء النبى **عن الجليل:** "كَمَا أَهَانَ الزَّمَانُ الأَوَّلُ أَرْضَ زَبُولُونَ وَأَرْضَ نَفْتَالِي يُكْرِمُ الأَخِيرُ" (إش9: 1) وقد ذكر أسماء سبطى زبولون ونفتالى لأن هذه المنطقة **فى الجليل** كانت من نصيبهم فى توزيع الأرض على أسباط إسرائيل الاثنى عشر فى القديم.

وقد أوضح القديس متى الإنجيلى كيف خدم السيد المسيح كثيرًا فى **منطقة الجليل** فقال: "**وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْبِ.** فَذَاعَ خَبَرُهُ فِي جَمِيعِ سُورِيَّةَ. فَأَحْضَرُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ السُّقَمَاءِ الْمُصَابِينَ بِأَمْرَاضٍ وَأَوْجَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ وَالْمَجَانِينَ وَالْمَصْرُوعِينَ وَالْمَفْلُوجِينَ فَشَفَاهُمْ. **فَتَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْجَلِيلِ** وَالْعَشْرِ الْمُدُنِ وَأُورُشَلِيمَ وَالْيَهُودِيَّةِ وَمِنْ عَبْرِ الأُرْدُنِّ" (مت4: 23-25).

كان شعب **منطقة الجليل** يرزح تحت ظلال الموت لكثرة اختلاطهم بالأمم؛ وركّز السيد المسيح كرازته بالإنجيل هناك أولاً قبل أن يذهب للخدمة فى اليهودية وفى الهيكل فى أورشليم إلى أن يتمم رسالته الخلاصية بدخوله أورشليم كملك ثم الحكم عليه بالموت فى مجمع اليهود هناك، وصلبه خارج أسوار أورشليم وما تبع ذلك من أحداث..

ولكن لا يفوتنا أن السيد المسيح بعد قيامته من الأموات وظهوره لمريم المجدلية ومريم الأخرى قال لهما: "اذْهَبَا قُولاَ لإِخْوَتِي أَنْ يَذْهَبُوا **إِلَى الْجَلِيلِ** وَهُنَاكَ يَرَوْنَنِي" (مت28: 10). وقد سبق ذلك أيضًا قول ملاك القيامة للمرأتين: "اذْهَبَا سَرِيعًا قُولاَ لِتَلاَمِيذِهِ إِنَّهُ قَدْ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ. هَا هُوَ يَسْبِقُكُمْ **إِلَى الْجَلِيلِ.** هُنَاكَ تَرَوْنَهُ" (مت28: 7). وكأن السيد المسيح يريد أن يعيد ذكريات الأيام الأولى فى خدمته هناك.

وبالرغم من ظهوراته المتفرقة للتلاميذ ثم ظهوره لهم وهم مجتمعين فى أورشليم؛ مرة فى غياب توما الرسول ومرة فى حضوره. إلا أنه بالفعل قد ظهر لهم بعد ذلك **فى الجليل على شاطئ البحر**. كما ذكر ذلك القديس يوحنا الإنجيلى "بَعْدَ هَذَا أَظْهَرَ أَيْضًا يَسُوعُ نَفْسَهُ لِلتّلاَمِيذِ عَلَى بَحْرِ طَبَرِيَّةَ... هَذِهِ مَرَّةٌ ثَالِثَةٌ ظَهَرَ يَسُوعُ لِتلاَمِيذِهِ بَعْدَمَا قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ" (يو21، 1، 14).

بعد ذلك توالت ظهوراته للتلاميذ كما ورد فى سفر الأعمال "إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي ارْتَفَعَ فِيهِ بَعْدَ مَا أَوْصَى بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الرُّسُلَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ. اَلَّذِينَ أَرَاهُمْ أَيْضًا نَفْسَهُ حَيّاً بِبَرَاهِينَ كَثِيرَةٍ بَعْدَ مَا تَأَلَّمَ وَهُوَ يَظْهَرُ لَهُمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَيَتَكَلَّمُ عَنِ الأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللهِ" (أع1: 2، 3).

إذن لقد اقترن اسم **الجليل** مع أحداث كبيرة فى خدمة السيد المسيح فى موعظته على الجبل، وفى معجزة **قانا الجليل**، وكثير من المعجزات، وبعد قيامته فى بشارة الملاك للمريمات وفى ظهوره الثالث لمجموعة من الرسل الاثنى عشر الذين عاش عدد منهم يعملون فى صيد السمك **فى الجليل** مثل بطرس ويعقوب ويوحنا، قبل أن يدعوهم السيد المسيح ليجعلهم صيادين للناس.

من كان يظن فى عصر إشعياء النبى أن تحدث كل هذه البركات فى **منطقة الجليل** المسماة "**جَلِيلُ الأُمَمِ**"؟ ومن المعروف أن "الأمم" هو تعبير عن الشعوب الوثنية فى ذلك الزمان!!..

حقًا إن المسيح فى سفر إشعياء ليس فقط قد دعى اسمه "**عجيبًا**" بل كان **عجيبًا** بالفعل أن يرد كل ما ورد عنه فى سفر إشعياء مما ذكرناه وما لم نذكره وما سوف نذكره لاحقًا..

الباب الخامس

نبوات عن آلام السيد المسيح

وصلبه

آلام المسيح

الآن نحن أمام أهم إصحاح فى سفر إشعياء؛ الذى حمل نبوات كثيرة عن آلام السيد المسيح، وذبيحته الكفارية على الصليب، وموته، وقيامته، والخلاص الذى دبّره الآب السماوى بذبيحة ابنه الوحيد الجنس، وهو الإصحاح الثالث والخمسين الذى يرتبط بنهاية الإصحاح الثانى والخمسين (52: 12-15).

يقول النبى: "**نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْقٍ مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ** لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيهِ. مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحُزْنِ وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ" (إش53 :2، 3).

العجيب أن النبى قد أشار إلى ميلاد السيد المسيح العذراوى، أى بدون زرع بشر من العذراء القديسة مريم. ثم انتقل سريعًا ومباشرةً إلى مرحلة الآلام حينما امتلأ جسد المسيح بالجراحات من الجلد وإكليل الشوك بصورة تقشعر لها الأبدان.

وبالرغم من أن المزمور قد ذكر عن السيد المسيح إنه "أَبْرَعُ جَمَالاً مِنْ بَنِي الْبَشَرِ" (مز44: 2) ؛ إلا أن النبى إشعياء قال عن حالته فى مرحلة الآلام: **"لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيهِ**". فالمزمور تكلّم عن المسيح **"الملك**" (مز44: 1)، وقال: "قامتِ الْمَلِكَةُ عَنْ يَمِينِكَ" (مز44: 9) مشيرًا إلى جماله الروحى وإلى مجده العظيم فى ملكوته فى الدهر الآتى. أما إشعياء فقد نقلنا سريعًا إلى آلام السيد والإهانات التى لحقت به من جراء خطايانا.

مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ

يقول إشعياء النبى عن السيد المسيح: "**مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحُزْنِ. وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ" (إش53: 3).**

نظرًا لأن كلام النبى كان يشير إلى مرحلة آلام السيد المسيح؛ لذلك فقد ركّز على الوضع الذى صار أثناء هذه المرحلة بالذات، وليس على جميع مراحل خدمته بعد عماده فى نهر الأردن على يد يوحنا المعمدان.

فعبارة **"مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ**" تشير إلى السخرية والاستهزاء الذى عومل به السيد المسيح أثناء محاكمته أمام مجمع اليهود، ثم بواسطة الجند الرومان الذين كانوا يلطمونه ويقولون له: "تَنَبَّأْ! مَنْ هُوَ الَّذِي ضَرَبَكَ؟" (لو22: 64). كذلك يشير إلى البصق فى وجهه الوديع بواسطة الأشرار. ووصل الأمر إلى تمزيق جسده المبارك بواسطة السياط الرومانية المصنوعة من عصب البقر وفى آخرها قطع من العظام أو المعدن الذى يغرس فى اللحم وعند جذب الكرباج ينزع أجزاء من جلد الظهر أو الصدر إلى جوار تمزيق الشرايين الداخلية المحيطة بالقفص الصدرى مما يؤدى إلى النزف الداخلى الذى يملأ تجويف الصدر بالدماء المكونة من الهيموجلوبين الأحمر والبلازما الشفافة البيضاء.

وعند طعن السيد المسيح بالحربة فى جنبه جرى منه دم وماء. لأن الهيموجلوبين يرسب إلى أسفل والبلازما تعلوه لوجود فرق فى الكثافة.

رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحُزْنِ

تشير هذه العبارة إلى أن السيد المسيح قد اتخذ ناسوتًا حقيقيًا قابلاً للألم والحزن والموت.

وإلى جوار ذلك فإنها ترد على ادعاءات اليهود ضد ذبيحة الصليب أن الله لا يقبل ذبيحة بشرية.

فعلاً الله لا يقبل كل ذبيحة بشرية بدليل أنه قد افتدى إسحق بخروف على جبل المريّا. ولكن ذبيحة الصليب كانت لها قيمة خاصة فى نظر الآب السماوى لأنها ذبيحة الفداء. ولأن المسيح سوف يقهر الموت ويدوس الموت بالموت ويقوم منتصرًا من الأموات.

كما أن ذبيحة الصليب تتميز بأن السيد المسيح كان هو الكاهن والذبيحة فى آنٍ واحد. أى أنه هو الذى قدّم نفسه: مثلما ذكر معلمنا بولس الرسول: "الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ للهِ بِلاَ عَيْبٍ" (عب9: 14).

فالذبيحة البشرية الوحيدة التى قبلها الآب السماوى هى ذبيحة ابنه الوحيد الجنس الذى أكمل الفداء بذبيحة نفسه. ولذلك قال إشعياء النبى عن المسيح المصلوب: "أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحُزْنِ. **إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ**" (إش53: 10).

فعبارة "كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ" (إش53: 7) هى على سبيل التشبيه، ولا تعنى أن الذبيحة هى ذبيحة خروف من الحيوانات، بل ذبيحة الابن المتجسد الذى صار إنسانًا (**أى رجلاً**) من أجل خلاصنا. لذلك قال: "**رَجُلُ** أَوْجَاعٍ".

أما عبارة "**َمُخْتَبِرُ الْحُزْنِ**" فإن السيد المسيح فى ليلة صلبه قال لتلاميذه: "نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًا حَتَّى الْمَوْتِ" (مت26: 38)، (مر14: 34).

فالمسيح لم يتألم فقط ليوفى دين خطايانا، بل حزن أيضًا على هذه الخطايا. لأن المفروض أن نحزن نحن على خطايانا إلى الأبد. وهذا يعنى أن نذهب إلى الهلاك الأبدى. **ولكن أحزان السيد المسيح تقوم فى مقام حمل أحزان كل البشر على جميع الخطايا فى جميع الأجيال.**

وقد أكد إشعياء النبى ذلك أيضًا بقوله: "**لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا**" (إش53: 4). إذن فأوجاع السيد المسيح لم تكن جسدية فقط، بل شاركت نفسه فى هذه الأوجاع بالأحزان الساحقة التى حملها. وقد سُر الرب بأن يسحقه بالحزن.

وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ

حينما يرى الإنسان منظرًا مؤلمًا بشعًا مثل من دهسه الترام أو الأوتوبيس، فإنه يستر وجهه بيديه لكى لا يُبصر هذا المنظر المريع.

هكذا كل من ينظر إلى السيد المسيح مُعلقًا على الصليب، وجسده مملوءًا بالجراحات، ورأسه مكللاً بالأشواك، والدماء تغطى وجهه، والمسامير فى يديه ورجليه بجراحات غائرة، فإنه يستر وجهه عنه لأنه لا يحتمل النظر إليه.

وما أجمل كلمات **قداسة البابا شنوده الثالث** –أطال الرب حياة قداسته- عن مشهد الصليب فى تقدير آلام المخلص وجراحاته:

كلّما طافت بك العين انزوت نفسى الخجلى يغطيها بكاها

فلماذا أنت مصلوب هنــا وأنـا الخاطئ حُـرٌ أتباهى

أما عن موقف اليهود فقد تكلم إشعياء النبى بلسانهم قائلاً: "مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ" (إش53: 3) أى أن البشر غير المؤمنين فى وقت الصلب لم يدركوا عظمة المصلوب ولا بهاء مجده.

لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا

أكمل القديس إشعياء النبى نبواته عن آلام المسيح فقال: **"**لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللَّهِ وَمَذْلُولاً**"** (إش53: 4).

الخطية تستوجب الحزن على ارتكابها. حزنًا يمتد إلى الأبد لأن عقوبة الخطية هى الموت الأبدى.

فكان ينبغى أن السيد المسيح **يحمل أحزان كل الخطايا لجميع البشر فى جميع العصور.** وفى حمله لها يكون قد أوفى دين الخطية الذى علينا. لأنه بالرغم من أنه قد أخذ إنسانية حقيقية وشابهنا فى كل شيء ما خلا الخطية وحدها، إلا أنه فى الوقت نفسه هو الله الكلمة المتجسد، والذى وحّد ناسوته مع لاهوته. **فأحزانه هو وحده تساوى أحزان الجميع وموته هو وحده يساوى موت الجميع**. لأنه لم يكن إنسانًا عاديًا بل هو نفسه الله الكلمة وكل ما يُنسَب إلى جسم بشريته الخاص ينسب إليه.

أحزان السيد المسيح قد عوّضت كل ما هو مطلوب من البشرية من أحزان أبدية. ويتبقى أن نشاركه فقط فى أحزانه وآلامه كعلامة على تقديرنا لبذله وآلامه ومحبته. وبمعنى أوضح أن نحزن على ما سببناه له من أحزان. نتحد به فى شبه موته، ونتحد به فى شبه قيامته فى المعمودية (انظر رو6: 5). ونتشبه بموته، ولكن لا يمكننا أن نساويه فى موته وأحزانه وطاعته فى حمل الآلام لأجلنا، تلك التى أرضت قلب الآب السماوى، وصالحته مع البشرية التى سبق أن تأسف فى قلبه أنه خلقها (انظر تك6: 6).

الحزن من أجل الخطية قيل عنه فى الكتاب "لأَنَّ الْحُزْنَ الَّذِي بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يُنْشِئُ تَوْبَةً لِخَلاَصٍ بِلاَ نَدَامَةٍ" (2كو7: 10).

وقيل عن السيد المسيح فى هذا المجال "أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحُزْنِ" (إش53: 10).

كُتب عن السيد المسيح وهو مقبل على إتمام الفداء كحامل لخطايا العالم "ابْتَدَأَ يَحْزَنُ وَيَكْتَئِبُ. فَقَالَ لَهُمْ: نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدّاً **حَتَّى الْمَوْتِ**" (مت26: 37، 38).

إن آدم الأول قد عصى الله **حتى الموت**، وآدم الأخير أى السيد المسيح قد أطاع الله الآب **حتى الموت.**

إذ أنه حينما تجسّد "وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ **حَتَّى الْمَوْتَ** مَوْتَ الصَّلِيبِ" (فى2: 8).

ونلاحظ أن عبارة **"حَتَّى الْمَوْتَ**" قد تكررت فى قول الكتاب عن حزن السيد المسيح "**حَتَّى الْمَوْتَ**" (مت26: 38)، وعن طاعة المسيح "**حَتَّى الْمَوْتَ**" (فى2: 8).

أَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا

نلاحظ أن النبى إشعياء قد ميّز فى نبوته بين الحزن والألم بقوله: **"أَحْزَانَنَا** حَمَلَهَا وَ**أَوْجَاعَنَا** تَحَمَّلَهَا" (إش53: 4) مميزًا فى كلامه بين **"أَحْزَانَنَا**" و "**أَوْجَاعَنَا**".

فالسيد المسيح كما أنه أوفى الدين فى الحزن على الخطية، كذلك أوفى الدين فى احتمال الآلام المستوجبة على الخطية وأهم هذه الآلام العذاب الأبدى.

الحزن مسألة تخص النفس، أما الألم فيخص الجسد. ومن جانب ثالث فإن الموت يخص الروح فى مفارقتها للجسد. وهذا الجانب الثالث أيضًا قد ذكره القديس إشعياء النبى فى كلامه عن آلام السيد المسيح وموته "وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ **قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ** أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ وَمَعَ غَنِيٍّ **عِنْدَ مَوْتِهِ**" (إش53: 8، 9).

وأشار القديس بولس الرسول إلى ألم الموت بالنسبة للسيد المسيح بقوله: "وَلَكِنَّ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، يَسُوعَ، نَرَاهُ مُكَلَّلاً بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ أَجْلِ **أَلَمِ الْمَوْتِ، لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللهِ الْمَوْتَ** لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ" (عب2: 9).

وسوف نتكلم عن قضية الموت بالتفصيل بمشيئة الرب فيما بعد.

ونعود إلى الحديث عن الأوجاع التى تحمّلها السيد المسيح من أجل خلاصنا، فنجد أن القديس بولس يقول: "لأَنَّهُ لاَقَ بِذَاكَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ الْكُلُّ وَبِهِ الْكُلُّ، وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ **أَنْ يُكَمِّلَ رَئِيسَ خَلاَصِهِمْ بِالآلاَمِ**" (عب2: 10).

كذلك يقول معلمنا بطرس الرسول فى نفس المجال: "**فَإِذْ قَدْ تَأَلَّمَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا بِالْجَسَدِ**، تَسَلَّحُوا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهَذِهِ النِّيَّةِ. فَإِنَّ مَنْ تَأَلَّمَ فِي الْجَسَدِ كُفَّ عَنِ الْخَطِيَّةِ" (1بط4: 1).

ويقول: "فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ لأَجْلِنَا.. **الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ. الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ**" (1بط2: 21، 24).

نَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللَّهِ

فى قوله: "**وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا**.." (إش53: 4) يتكلم بلسان الأمة اليهودية ليوضّح كيف انحرف اليهود فى فهمهم لصليب السيد المسيح.

المسألة ترجع أساسًا إلى ما ورد فى سفر التثنية عن المصلوب أو المعلق على خشبة:

"وَإِذَا كَانَ عَلى إِنْسَانٍ خَطِيَّةٌ حَقُّهَا المَوْتُ فَقُتِل وَعَلقْتَهُ عَلى خَشَبَةٍ. فَلا تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلى الخَشَبَةِ بَل تَدْفِنُهُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ لأَنَّ المُعَلقَ مَلعُونٌ مِنَ اللهِ. فَلا تُنَجِّسْ أَرْضَكَ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا" (تث21: 22، 23).

لقد أصّر رؤساء الكهنة وقيادات اليهود على أن يتم قتل السيد المسيح صلبًا.

وعندما قال لهم بيلاطس الوالى الرومانى: "خُذُوهُ أَنْتُمْ وَاحْكُمُوا عَلَيْهِ حَسَبَ نَامُوسِكُمْ". قال له اليهود: "لاَ يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقْتُلَ أَحَدًا" وعلّق إنجيل يوحنا على هذه المناقشة "لِيَتِمَّ قَوْلُ يَسُوعَ الَّذِي قَالَهُ مُشِيرًا إِلَى أَيَّةِ مِيتَةٍ كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يَمُوتَ" (يو18: 31، 32).

لقد رفض اليهود أن ينفّذوا حكم الموت فى السيد المسيح، لأنهم كانوا يرجمون المحكوم عليه بالموت مثلما فعلوا مع القديس إستفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء (انظر أع 7: 59).

وكانوا كاذبين فى كلامهم مع بيلاطس عندما قالوا: "لاَ يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقْتُلَ أَحَدًا" لأنهم قتلوا إستفانوس بحكم من مجمعهم وليس بحكم من السلطة الرومانية بعد ذلك بسنوات قليلة.

ولكن كان غرضهم هو أن يموت السيد المسيح مصلوبًا ليثبتوا عليه اللعنة حسبما ورد فى سفر التثنية أن **"المُعَلقَ مَلعُونٌ مِنَ اللهِ"** (تث 21: 23).

وبناءً على ذلك كانوا يعيّرون السيد المسيح وهو معلّق على الصليب ويسخرون منه "وَكَانَ الشَّعْبُ وَاقِفِينَ يَنْظُرُونَ وَالرُّؤَسَاءُ أَيْضًا مَعَهُمْ يَسْخَرُونَ بِهِ قَائِلِينَ: خَلَّصَ آخَرِينَ فَلْيُخَلِّصْ نَفْسَهُ إِنْ كَانَ هُوَ الْمَسِيحَ مُخْتَارَ اللهِ" (لو23: 35).

تحققت كلمات إشعياء النبى "**وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللَّهِ وَمَذْلُولاً**" (إش53: 4).

وفى الحقيقة إن السيد المسيح قد حمل لعنة خطايانا، لذلك قال معلمنا بولس الرسول عن الآب السماوى: "جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ" (2كو5: 21).

لقد محا السيد المسيح لعنة الخطية كقول الكتاب "إذ محا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدّاً لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّرًا إيَّاهُ بِالصَّلِيبِ" (كو2: 14). "وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ، أَيِ الْعَدَاوَةَ. مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الاثنيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلاَمًا، وَيُصَالِحَ الاثنيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلاً الْعَدَاوَةَ بِهِ" (أف2: 16). ويتضح الأمر تمامًا فى قوله: "الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، **إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا**، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ" (غل3: 13).

بين الصليب والحية فى البرية

**لماذا رفع موسى الحية فى البرية كرمز للصليب؛ مع أن الحية ترمز إلى الشيطان؟!..**

المسألة أن السيد المسيح قد حمل خطايانا فى جسده، وارتفع إلى الصليب، وسمّر الخطية هناك ونزل عن الصليب وتركها مسمّرة.

وبعد قيامته ظهر فى البستان لمريم المجدلية. ليكون البستان هو بمثابة الفردوس الجديد بدون الحية القديمة التى سمّرت على الصليب.

بمعنى أن تعليم إبليس لا وجود له داخل كنيسة المسيح، والسيد المسيح هو المعلّم الوحيد. لذلك قالت له مريم المجدلية: "رَبُّونِي الَّذِي تَفْسِيرُهُ يَا مُعَلِّمُ" (يو20: 16).

كيف أزال الآب السماوى شُبهة اللعنة عن ابنه المحبوب؟

لقد "أقَامَهُ اللهُ نَاقِضًا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ" (أع2: 24)، وقال بطرس الرسول لليهود: "إِنَّ إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ إِلَهَ آبَائِنَا **مَجَّدَ فَتَاهُ يَسُوعَ** الَّذِي أَسْلَمْتُمُوهُ أَنْتُمْ وَأَنْكَرْتُمُوهُ أَمَامَ وَجْهِ بِيلاَطُسَ وَهُوَ حَاكِمٌ بِإِطْلاَقِهِ. وَلَكِنْ أَنْتُمْ أَنْكَرْتُمُ الْقُدُّوسَ الْبَارَّ وَطَلَبْتُمْ أَنْ يُوهَبَ لَكُمْ رَجُلٌ قَاتِلٌ. وَرَئِيسُ الْحَيَاةِ قَتَلْتُمُوهُ **الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ** وَنَحْنُ شُهُودٌ لِذَلِكَ" (أع 3: 13-15).

إذن حينما مات السيد المسيح فإنه مات لأجل خطايانا، وحينما قام من الأموات فى اليوم الثالث فإنه قام لسبب بره الشخصى، ولكى يعلن الآب أن اللعنة لم تكن لعنته الشخصية بل لعنتنا نحن التى حملها نيابة عنا ومحاها بالصليب. وقد مجّد الآب ابنه بالقيامة من الأموات. وركّز الآباء الرسل على عمل الآب فى إقامة الابن المتجسد مع أن الابن قد قام بسلطان لاهوته. ولكن نظرًا لأن قدرة واحدة هى للآب والابن والروح القدس. لذلك أمكن أن يقال أن الآب أقامه، أو أن الروح القدس أقامه، كما أنه هو أقام نفسه كقوله لليهود: "انْقُضُوا هَذَا الْهَيْكَلَ وَفِي ثلاَثَةِ أَيَّامٍ **أُقِيمُهُ**. فَقَالَ الْيَهُودُ: فِي سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هَذَا الْهَيْكَلُ أَفَأَنْتَ فِي ثلاَثَةِ أَيَّامٍ تُقِيمُهُ؟ وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ" (يو2: 19-21).

حَسِبْنَاهُ.. َمَذْلُولاً

"وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللَّهِ وَ**مَذْلُولاً**" (إش53: 4).. لنتأمل فى المذّلة ومعانيها. وهو الذى قيل عنه فى نفس الإصحاح من سفر إشعياء "ظُلِمَ أَمَّا هُوَ **فَتَذَلَّلَ** وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ" (إش53: 7).

يلزمنا أن نقطع رحلة مع كلمة **"المذّلة"** لندرك أبعاد وأعماق ما عاناه السيد المسيح من المذّلة وما ذلل هو به نفسه من أجلنا ومن أجل خلاصنا.

فعندما أذل فرعون شعب إسرائيل فى العبودية فى أرض مصر قال الرب لموسى النبى: "إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ **مَذَلَّةَ** شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ. فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ" (خر3: 7، 8).

المزامير وكلمة "المذلة"

وردت كلمة "**المذّلة"** فى صلوات **المزامير** كثيرًا لتعبّر عن مشاعر الإنسان الذى يطلب المعونة والخلاص من الله، كما أنها تحمل أحيانًا العديد من النبوات عن السيد المسيح الذى احتمل المذّلة ومن أمثلة ذلك:

* "اِرْحَمْنِي يَا رَبُّ. انْظُرْ **مَذَلَّتِي** مِنْ مُبْغِضِيَّ يَا رَافِعِي مِنْ أَبْوَابِ الْمَوْتِ. لِكَيْ أُحَدِّثَ بِكُلِّ تَسَابِيحِكَ فِي أَبْوَابِ ابنةِ صِهْيَوْنَ مُبْتَهِجًا بِخَلاَصِكَ" (مز 9: 13، 14).
* "أَبْتَهِجُ وَأَفْرَحُ بِرَحْمَتِكَ لأَنَّكَ نَظَرْتَ إِلَى **مَذَلَّتِي** وَعَرَفْتَ فِي الشَّدَائِدِ نَفْسِي" (مز31: 7).
* "أَمَّا أَنَا فَفِي مَرَضِهِمْ كَانَ لِبَاسِي مِسْحًا. **أَذْلَلْتُ** بِالصَّوْمِ نَفْسِي. وَصَلاَتِي إِلَى حِضْنِي تَرْجِعُ" (مز35: 13).
* "لاَ تَذْكُرْ عَلَيْنَا ذُنُوبَ الأَوَّلِينَ. لِتَتَقَدَّمْنَا مَرَاحِمُكَ سَرِيعًا لأَنَّنَا قَدْ **تَذَلَّلْنَا** جِدّاً" (مز79: 8).
* "فَرِّحْنَا كَالأَيَّامِ الَّتِي فِيهَا **أَذْلَلْتَنَا** كَالسِّنِينِ الَّتِي رَأَيْنَا فِيهَا شَرّاً" (مز90: 15).
* "الرَّبُّ حَافِظُ الْبُسَطَاءِ. **تَذَلَّلْتُ** فَخَلَّصَنِي" (مز115: 6).
* "آمَنْتُ لِذَلِكَ تَكَلَّمْتُ. أَنَا **تَذَلَّلْتُ** (اتضعت) جِدّاً" (مز116: 10).
* "هَذا الذى عَزّاني فِي **مَذَلَّتِي** لأَنَّ قَوْلَكَ أَحْيَانِي" (مز118: 50).
* "خَيْرٌ لِي أنك أذللتنى حتى أَتَعَلَّمَ حقوقك" (مز118: 71).
* "قَدْ عَلِمْتُ يَا رَبُّ أَنَّ أَحْكَامَكَ عَدْلٌ وَبِحَقِّ **أَذْلَلْتَنِي**" (مز118: 75).
* "**تَذَلَّلْتُ** جدًا إِلَى الْغَايَةِ. يَا رَبُّ أَحْيِنِي كقولك" (مز118: 107).
* "أنصت إلى طلبتي، فإني قَدْ **تَذَلَّلْتُ** جِدّاً" (مز141: 6).

مراثى أرميا وكلمة "المذلة"

وفى سفر **مراثى أرميا** وردت كلمة المذّلة كثيرًا. ويُقرأ جزء كبير من هذا السفر فى بداية الساعة الثانية عشر من يوم الجمعة العظيمة. ونورد أمثلة لما ورد فى هذا السفر:

* "قَد سُبِيَتْ يَهُوذَا مِنَ **الْمَذَلَّةِ** وَمِنْ كَثْرَةِ الْعُبُودِيَّةِ" (مرا 1: 3).
* "أمَا إِلَيْكُمْ يَا جَمِيعَ عَابِرِي الطَّرِيقِ؟ تَطَلَّعُوا وَانْظُرُوا إِنْ كَانَ حُزْنٌ مِثْلُ حُزْنِي الَّذِي صُنِعَ بِي الَّذِي **أَذَلَّنِي** بِهِ الرَّبُّ يَوْمَ حُمُوِّ غَضَبِهِ" (مرا 1: 12).
* "أَنَا هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي رأَى **مَذَلَّةً** بِقَضِيبِ سَخَطِهِ" (مرا 3: 1).
* "ذِكْرُ **مَذَلَّتِي** وَتَيَهَانِي أَفْسَنْتِينٌ وَعَلْقَمٌ" (مرا 3: 19).

وصايا الرب وكلمة "المذلة"

ووردت فى **وصايا الرب** فى ناموس موسى مثل يوم الكفارة العظيم:

* "أَمَّا الْعَاشِرُ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ السَّابِعِ فَهُوَ يَوْمُ الْكَفَّارَةِ. مَحْفَلاً مُقَدَّسًا يَكُونُ لَكُمْ. **تُذَلِّلُونَ** نُفُوسَكُمْ وَتُقَرِّبُونَ وَقُودًا لِلرَّبِّ" (لا23: 27).
* "إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لاَ **تَتَذَلَّلُ** فِي هَذَا الْيَوْمِ عَيْنِهِ تُقْطَعُ مِنْ شَعْبِهَا" (لا23: 29).

**ونادى عزرا الكاتب بالتذلل أمام الرب لسبب السبى وما تبعه من أحداث فقال:**

* "وَنَادَيْتُ هُنَاكَ بِصَوْمٍ عَلَى نَهْرِ أَهْوَا **لِنَتَذَلَّلَ** أَمَامَ إِلَهِنَا لِنَطْلُبَ مِنْهُ طَرِيقًا مُسْتَقِيمَةً لَنَا وَلأَطْفَالِنَا وَلِكُلِّ مَالِنَا" (عز8: 21).
* وقال أيضًا: "وَعِنْدَ تَقْدِمَةِ الْمَسَاءِ قُمْتُ مِنْ **تَذَلُّلِي** وَفِي ثِيَابِي وَرِدَائِي الْمُمَزَّقَةِ جَثَوْتُ عَلَى رُكْبَتَيَّ وَبَسَطْتُ يَدَيَّ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِي" (عز9: 5).

**أما باروخ الكاتب فقد أشار إلى الخلاص والقيامة فى أورشليم بقوله الرائع:**

* "اخلعي يا أورشليم لباس النوح و**المذلة** والبسي بهاء المجد من عند الله إلى الأبد" (با 5: 1).

لقد احتمل السيد المسيح مذلة بنى البشر، وتذلل فى آلامه وما وقع عليه من تعييرات كنائب عن البشرية لكى يحمل مذلتنا ويوفى دين المذلة الأبدى الذى جلبناه على أنفسنا وذلك لكى يرفع عن شعبه حلة النوح والمذّلة ويلبس كنيسته بهاء المجد من عند الله إلى الأبد.

**إن مذّلتك يا ربى يسوع المسيح هى التى أعدت لى حلة المجد الأبدى، فاجعلنى أهلاً لهذه المواعيد الثمينة والعظمى بنعمتك القادرة.**

مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا

يقول النبى بوحى من الروح القدس عن آلام المخلّص: "وَهُوَ **مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا** مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا" (إش53: 5).

لا ينطبق هذا الكلام إلاّ على السيد المسيح، لأنه هو الذى بلا خطية وحده بين جميع البشر والذى يمكنه أن **يشفى بجراحه خطايا غيره**. وقد عبّر بنفس الأسلوب أيضًا اللص اليمين حينما وبّخ زميله اللص الشمال على تعييره للسيد المسيح بقوله: "أَوَلاَ أَنْتَ تَخَافُ اللهَ إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هَذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِهِ؟. **أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْلٍ** لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا وَأَمَّا هَذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ" (لو23: 40، 41).

إن تعبير "**مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا**" لا يُعبّر فقط عن أن السيد المسيح قد تألّم عوضًا عن الخطاة ليوفى دين خطاياهم، بل إنه يعبّر عن جراح المحبّة.. كيف تألّم السيد المسيح، لأن الخطية تفسد حياة الإنسان.. **إنها مشاعر الراعى الذى يتألّم حينما يرى الذئب وهو يفترس إحدى خرافه المحبوبة. بل هى مشاعر الأب الذى يرى أحد أولاده وهو يلقى بنفسه من برج عال ليسقط مهشمًا**. كما أن العصيان **يجرح** قلب الأب العطوف، والتمرد **يجرح** مشاعره الرقيقة.

قد يقول قائل ما الذى يخسره الله لسبب خطاياى؟ مضيفًا أن الله غير محتاج إلينا. ولكن السيد المسيح بتجسده قد جسّد مشاعر قلب الله. ووصل تجسيد الموقف فى الحوار المذكور فى سفر زكريا النبى "فَيَقول لَهُ: **مَا هَذِهِ الْجُرُوحُ فِي يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هِيَ الَّتِي جُرِحْتُ بِهَا فِي بَيْتِ أَحِبَّائِي!**" (زك13: 6).

إننا نقف فى ذهول أمام جراحات الصليب. **أهذا كلّه من أجل الحب**؟! أو "هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ الجنس!" (يو3: 16).

وفى الوقت نفسه نشاهد قداسة الله وكراهيته للخطية -وليس للخاطئ- إذ أنه حينما نقل خطايانا على ابنه الوحيد صار الابن "يَدُوسُ مَعْصَرَةَ خَمْرِ سَخَطِ وَغَضَبِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" (رؤ19: 15). لكى تنال الخطية قصاصًا عادلاً ويُعلن صلاح الله وقداسته..

أمينة هى جراح المحب

ورد فى سفر الأمثال أنها "أَمِينَةٌ هِيَ جُرُوحُ الْمُحِبِّ، وَغَاشَّةٌ هِيَ قُبْلاَتُ الْعَدُوِّ" (أم27: 6)، أى أن المحب الذى يحرص على مصلحة من يحبه قد يسبب له جراحًا عند توبيخه، أو تأديبه، أو مقاومة بعض رغباته التى قد تضره. أما قبلات العدو فهى تتظاهر بالمحبة، بينما لا تنبّه الشخص إلى المخاطر المحيطة به، وتشعره بالأمان إلى أن يضيع. أو هى تحمل الخيانة مثل قبلة يهوذا الإسخريوطى للسيد المسيح، والتى كانت العلامة لتسليمه للذين قبضوا عليه، فكانت قبلة غاشة.

فإن كان من يجرح حبيبه لأجل خيره وصالحه يُحسب أمينًا، **فكم** **يكون من ينجرح هو نفسه لأجل من يحب؟! وكم يكون من يحمل ذنوب غيره ويحمل عقوبتها؟!** كم يكون من يحمل الجراحات لكى يبين لأحبائه بشاعة الخطية وعواقبها؟! كم يكون لو أن القاضى أخذ مكان المتهم لكى يوفى ما عليه من ديون؟! وكم يكون من يتحمل القبلة الغاشة من أحد تلاميذه وأصدقائه الذى يقول هو عنه فى المزمور "إِنْسَانٌ عَدِيلِي إِلْفِي وَصَدِيقِي. الَّذِي مَعَهُ كَانَتْ تَحْلُو لَنَا الْعِشْرَةُ" (مز55: 13، 14)؟! لقد مضى يهوذا وشنق نفسه؛ ربما لأنه لم يحتمل الرقة التى عامله بها السيد المسيح فى مقابل خيانته الرديئة وعدم محبته. ولم يمنعه من تقبيله، بل قال له: "يَا صَاحِبُ لِمَاذَا جِئْتَ؟" (مت26: 50) ثم أردف قائلاً: "يَا يَهُوذَا أَبِقُبْلَةٍ تُسَلِّمُ ابن الإِنْسَانِ؟!" (لو22: 48). لقد قيل عن يهوذا فى المزمور: "وَأَحَبَّ اللَّعْنَةَ فَأَتَتْهُ.. فَدَخَلَتْ كَمِيَاهٍ فِي حَشَاهُ وَكَزَيْتٍ فِي عِظَامِهِ" (مز109: 17، 18). لقد أسلم يهوذا قلبه للشيطان الذى قاده من الندم إلى اليأس والهلاك.

**إن الإنسان يقف مبهورًا أمام هذا الحب الكبير الذى لم يجرح أحدًا، بل احتمل الجراحات** "**وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا**". بل وصل به الأمر أن يلتمس المغفرة معطيًا عذرًا لصالبيه بقوله للآب: "يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لو23: 34). وقال معلمنا بولس الرسول عن عظماء هذا الدهر: "لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ" (1كو2: 8).

ولكن القديس بطرس وقف فى يوم الخمسين ليوبّخ اليهود وقال لهم عن السيد المسيح: "بِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ.. تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسم يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا، فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. لأَنَّ الْمَوْعِدَ هُوَ لَكُمْ ولأَوْلاَدِكُمْ وَلِكُلِّ الَّذِينَ عَلَى بُعْدٍ كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ إِلَهُنَا" (أع2: 23، 38، 39). واعتمد فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف نفس لأن الآب طبعًا قد قبل ما طلبه السيد المسيح لمن صلبوه ثم تابوا "لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لو23: 34).

مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا

"هُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا **مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا**. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا" (إش53: 5).

**الجراحات تخص اللحم أما السحق فيخص العظام**. وكأن الرب يريد أن يوضح لنا أن **السيد المسيح قد تألم بكل ما فيه من لحم وعظام** سواء من الناحية الجسدية أو من الناحية النفسية. فهناك موقف يجرح مشاعر الإنسان وموقف آخر يسحقه سحقًا. لذلك ورد فى نفس الإصحاح "أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ **يَسْحَقَهُ** بِالْحُزْنِ" (إش53: 10). وورد على لسان أيوب فى جداله مع زملائه الثلاثة "حَتَّى مَتَى تُعَذِّبُونَ نَفْسِي وَ**تَسْحَقُونَنِي** بِالْكَلاَمِ" (أى19: 2).

السيد المسيح حينما حمل خطايانا أخذ كل ما تستوجبه الخطية من مشاعر الحزن والانسحاق عند التوبة. أى أنه قد **حزن بما يكفى لخلاصنا من الحزن الأبدى، وانسحق بما يوازى انسحاق كل الخطاة التائبين إلى أبد الدهور.**

تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ

"هُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا**. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ** وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا" (إش53: 5)، السيد المسيح هو صانع السلام. وكان ينبغى أن يصالح الله مع الإنسان، والسمائيين مع الأرضيين، والروح مع الجسد، واليهود مع الأمم.

لذلك قال معلمنا بولس الرسول: "وَلَكِنَّ الْكُلَّ مِنَ اللهِ، الَّذِي **صَالَحَنَا** لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَأَعْطَانَا خِدْمَةَ الْمُصَالَحَةِ، أَيْ إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ **مُصَالِحًا** الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعًا فِينَا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ" (2كو 5: 18، 19).

وقال أيضًا مخاطبًا أهل أفسس: "الآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً بَعِيدِينَ صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ. **لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا**، الَّذِي جَعَلَ الاثنيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ، أَيِ الْعَدَاوَةَ. مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الاثنيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، **صَانِعًا سَلاَمًا،** وَيُصَالِحَ الاثنيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلاً الْعَدَاوَةَ بِهِ" (أف2: 13-16).

كان صنع السلام مرتبطًا بالمصالحة، والمصالحة بُنيت على الصليب. فصار تأديب سلامنا على السيد المسيح. أى أنه أوفى الدين الذى علينا وحمل عقوبة خطايانا وصالحنا مع أبيه السماوى، وأدان الخطية بالصليب معلنًا قداسة الله كرافض للشر، ومعلنًا محبة الله كمعتنى ومخلّص من الهلاك الأبدى. **كان السلام يحتاج إلى تأديب الإنسان الذى عصى وتمرد**. فجاء آدم الجديد وقدّم طاعة كاملة أرضت قلب الآب وأعادت إلى الإنسان علاقته المفقودة مع الله.

وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا

كانت جراحات السيد المسيح هى شفاء للبشرية الخاطئة. وقد وقف القديس بطرس الرسول مبهورًا أمام حقيقة جلد السيد المسيح الذى التهب جسده القدوس بالسياط المحرقة ومزقه تمزيقًا فقال عن السيد المسيح: "الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ. **الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ**" (1بط2: 24).

كانت جراحات الجلد الرومانى هى السبب المباشر لموت السيد المسيح السريع على الصليب. لأن ضربات الكرابيج المصنوعة من عصب البقر والتى فى نهاية كل سير منها قطعتين من العظم أو من المعدن الصلب، كانت قد مزقت الشرايين المحيطة بالقفص الصدرى وسببت نزيفًا حادًا حتى ملأت الدماء التجويف الصدرى للسيد المسيح.

ما أعجب هذا الارتباط بين نبوة إشعياء "**وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا**" وكلام بطرس الرسول "**بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ**".

**إن آلامك يا رب تشفى محبتنا للذة الخطية. نحن نتلذذ وأنت جسدك يحترق بالآلام!**

**فكيف نطيق الخطية مهما كانت لذتها الوقتية؟! جلداتُك.. حُبُرك.. جراحاتُك، تشفينا.. تنادينا.. تأسرنا؛ لأنك اقتحمت قلوبنا بمحبتك.**

الرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا

يكمل إشعياء النبى نبوءته بقوله: "كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ **وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا**" (إش53: 6).

بمهارة فائقة ربط الوحى على فم إشعياء النبى بين وضع السيد المسيح باعتباره هو **حمل الله** الذى يحمل خطية العالم، ووضعه **كراعى** الخراف العظيم: **فهو الحمل والراعى**.

فحينما يشبّه إشعياء النبى البشر بالغنم: يضع الله فى موقف الراعى. وفى نفس الوقت يشير إلى نيابة السيد المسيح عن البشرية، إذ أنه هو الذبيحة الحقيقية التى أشارت إليها ذبائح الأغنام الكثيرة فى العهد القديم بما فى ذلك ذبيحة أبينا إبراهيم.

**من أهم اختصاصات راعى الأغنام أن يبحث عن الخراف الضالة، وأن يحميها من الذئاب الخاطفة ثم أن يقودها إلى المراعى الخضراء ومياه الراحة**.

ومن عادة الخراف أنها تنطلق فى المسير بلا وعى ولا تدرك أبعاد الطريق الذى رسمه لها الراعى.

لذلك يقول: "**كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ**". أن يضل أحد الخراف أو بعضها فهذا أمر طبيعى، ولكن أن يضل جميع الخراف فهذا أمر صعب ومؤسف وخطير.

ولكن هذا ما حدث بالفعل إذ يقول معلمنا بولس الرسول: "منْ أَجْلِ ذَلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ" (رو5: 12).

وصار الجميع فى احتياج إلى الخلاص. ولم يوجد بين البشر من يستطيع أن يصنع الخلاص..

وهذا ما عبّر عنه إشعياء النبى بالروح عن نظرة الرب للأوضاع فقال: "فَرَأَى أَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانٌ وَتَحَيَّرَ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ شَفِيعٌ. فَخَلَّصَتْ ذِرَاعُهُ لِنَفْسِهِ وَبِرُّهُ هُوَ عَضَدَهُ. فَلَبِسَ الْبِرَّ كَدِرْعٍ وَخُوذَةَ الْخَلاَصِ عَلَى رَأْسِهِ" (إش59: 16، 17).

**كان تجسُّد الابن الوحيد الجنس ضروريًا لخلاص البشرية. وهكذا تجسَّد الله الكلمة بنفسه، وصار إنسانًا لأنه لم يوجد بين البشر ولا الملائكة من يمكنه إتمام الفداء.**

لقد مال البشر جميعًا كل واحد إلى طريقه. ولكن قد جاء من هو نفسه "**الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ**" (يو14: 6). وقدّم نيابة عن البشرية طاعة كاملة لله أبيه وهو موضوع سروره منذ الأزل وإلى الأبد.

لم يكن السيد المسيح فى طاعته لأبيه السماوى بلا خطية فقط، بل ارتضى أن يحمل خطايا غيره وأن يوفى ديونها بالكامل. وبذلك وصل بالطاعة إلى ذروتها.

"رُبَّمَا لأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضًا أَنْ يَمُوتَ. وَلَكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا" (رو5: 7، 8).

إن الطاعة الكاملة التى يقدمها أى ابن لأبيه هو ألا يخالف وصيته؛ مثلما قال الابن الأكبر لأبيه فى مَثل الابن الضال: "وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ وَجَدْيًا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي. وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ ابنكَ هَذَا الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الزَّوَانِي ذَبَحْتَ لَهُ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ" (لو15: 29، 30).

لم يحتمل الابن الأكبر محبة أبيه لأخيه الذى "كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ وَكَانَ ضَالاًّ فَوُجِدَ" (لو15: 32)، وبالأكثر لم يحتمل أن يأخذ هذا الأخ تكريمًا اعتبره هو أنه يليق به وليس بأخيه. ولكن هل كان يقبل أن يحمل خطايا أخيه ويوفى ديونها؟!.. طبعًا الذى احتمل هو الأب.. احتمل تعيير ابنه فى قبوله للابن الآخر. ولم يقل الابن الأكبر "لما جاء **أخى**" ولكنه قال: "لَمَّا جَاءَ **ابنكَ هَذَا** الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الزَّوَانِي". والعجيب أن الأب حينما علم أن الابن الأكبر قد غضب ولم يرد أن يدخل إلى الحفل "خَرَجَ أَبُوهُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ" (لو15: 28).

لقد تمرّد اليهود على الله، وتمرّد الأمم على الله "إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ" (رو3: 23). وحينما بدأ الرب يقبل الأمم فى الإيمان بعد إتمام الفداء بدأ اليهود يتعبون. ولكن الكنيسة قاومت تيار التهوّد فى المسيحية لجهود بولس الرسول وانتهى الأمر بقرار من مجمع الرسل فى أورشليم بحسم هذه المسألة.

الموت النيابى

إن عبارة "الرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا" (إش53: 6) تحسم الجدل الذى يدور بين البعض حول مسألة "الموت النيابى". فمن الواضح أن السيد المسيح حسب تعليم الكتاب المقدس وحسب تعاليم الآباء القديسين مثل القديس أثناسيوس الكبير والقديس كيرلس عامود الدين، قد دفع ثمن خطايا البشرية وهو برئ. ولكنه ارتضى ذلك وكرّمه الآب بقيامته المجيدة من الأموات (انظر كتاب كيف تم فداء البشر لقداسة البابا شنودة الثالث).

فقد شرح القديس أثناسيوس الرسولى فى كتابه عن "تجسد الكلمة" أهمية التجسد الإلهى فى خلاص البشرية؛ فقال فى الفصل التاسع:

[إن كلمة الله إذ لم يكن من الممكن أن يموت (بحسب لاهوته) أخذ جسدًا قابلاً للموت. لكى باتحاده بالكلمة الذى هو فوق الكل، يكون جديرًا بأن يموت **نيابةً** عن الكل].

وبذلك شرح القديس أثناسيوس فكرة الموت النيابى. فالسيد المسيح إذ حمل خطايا العالم، قد مات نيابة عن الكثيرين. وكما قال القديس كيرلس الكبير عامود الدين: [كان موته هو وحده مساويًا لحياة الكثيرين] (الرسالة إلى فاليريان أسقف أيقونية – الفقرة 13).

ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ

يستكمل إشعياء النبى نبواته عن آلام السيد المسيح بمنتهى الدقة فيقول: "**ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ**" (إش53: 7).

أشار معلمنا بطرس الرسول إلى مسألة الظلم بقوله: "فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ لأَجْلِنَا، تَارِكًا لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُواتِهِ. الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ. الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ. الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ. الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ" (1بط2: 21-24).

ويتضح من كلام معلمنا بطرس الرسول أن الظُلم الذى وقع على السيد المسيح كان من الناس الأشرار الذين تآمروا عليه، والذين شتموه، والذين عذّبوه، إذ ضربوه ولطموه وجلدوه وسمروه على الصليب.

اشترك فى تعذيب السيد المسيح قيادات اليهود والعسكر الرومان. واشترك أيضًا الحاكم الرومانى بونتيوس بيلاطس، الذى أمر بجلده، ثم أمر بصلبه خضوعًا للضغط الشعبى وخوفًا على منصبه.

بالطبع لم يقع الظُلم على السيد المسيح من قِبَل الآب السماوى وإن كان قد سمح بذلك لتكميل عمل الفداء وإدانة الشر والخطية. والدليل على أن الظلم لم يقع من جهة الآب السماوى هو قول الكتاب عن السيد المسيح: "وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ" (1بط2: 23)، بمعنى أن السيد المسيح قد اعتبر الآب قاضيًا عادلاً فكان يُسلّم له الحكم "**يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ**".

لماذا سَمح الرب أن يُظلم؟

يتساءل البعض: هل من العدل أن يموت البار عوضًا عن الخطاة؟ ولماذا يسمح الآب بأن يقع الظلم على ابنه الوحيد المتجسد؟!

ونجيب على ذلك بالأسباب التالية:

**أولاً:** إن الفادى قد تطوّع لخلاص البشرية. فهو لم يكن مجبرًا على قبول الآلام والموت جسديًا.

**ثانيًا:** إن الآب قد أقامه من الأموات سريعًا ولم يستطع الموت أن يمسكه. وبذلك فقد تم التعويض عن الموت.

**ثالثًا:** إنه قام بجسد ممجد لا يقوى عليه الموت.

**رابعًا:** إنه قد تمجّد بقيامته وبصعوده إلى السماء جسديًا وبانتصاره على الموت وعلى الجحيم وعلى مملكة الظلمة الروحية. واحتفل السمائيون بهذا الدخول الانتصارى لملك المجد ورفعوا الأبواب الدهرية ليدخل الرب العزيز القاهر فى الحروب. وبهذا يكون قد أحيط ناسوتيًا بأمجاد هى أضعاف ما أحاط به من إهانات فى جسم بشريته. وبهذا يكون الآب قد أكرمه فى مقابل ظلم الأشرار.

**خامسًا**: إن الشر قد افتضح وأُدين كما قال الكتاب: "إِذْ أَرْسَلَ ابنهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ" (رو8: 3).

لذلك فإن الرسول بطرس حينما تكلم عن الإهانات التى لحقت بالسيد المسيح وإنه إذ تألم كان يُسلّم لمن يقضى بعدل أى لمن سيحكم له فى مقابل الظلم الذى وقع عليه، إلا أن الرسول بطرس قد ربط ذلك بالسبب الرئيسى فقال: "الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ" (1بط2: 24)، **أى أن آلام المسيح كانت عوضًا عن آلامنا الأبدية. وموته كان عوضًا عن موتنا الأبدى. إنها قصة حب فائق من قِبَل الله؛ جعلت القاضى يأخذ مكان المتهم، ويوفى عنه الدين**.

أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ

**لماذا تذلل السيد المسيح؟**

* لقد تذلل عوضًا عن الخطاة؛ لكى ينوب عن البشرية فى ممارسة الاتضاع ونبذ الكبرياء.
* وتذلل لكى يحتمل ظلم الأشرار؛ كما ورد فى القداس الغريغورى {احتملت ظُلم الأشرار، بذلت ظهرك للسياط، وخدّيك أهملتهما للّطم. لأجلى يا سيدى، لم ترد وجهك عن خزى البصاق}.
* وتذلل لكى يعلّمنا كيف نواجه المواقف الصعبة.. كيف نواجه الإهانات.. كيف نواجه الظلم.. كيف نواجه الآلام.. هل نواجهها بروح الكبرياء أو التذمر، أم بروح الاتضاع والطاعة والتسليم لإرادة الله؟ لهذا قال معلمنا بطرس الرسول: "فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ لأَجْلِنَا، تَارِكًا لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُواتِهِ" (1بط2: 21) أى لكى نسلك باتضاع.

وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ

* صمت السيد المسيح؛ لأنه إذ حمل خطايا البشرية لم يرغب فى الدفاع عن نفسه.
* وصمت؛ لأن صمته فى مواجهة الشر كان أقوى من الكلام. وكان قد علّم كثيرًا فى الهيكل وانبهر الجميع من كلمات النعمة على شفتيه. ولأن للصمت وقت وللكلام وقت.
* وصمت؛ لكى يتمم النبوات التى قيلت عنه: "تَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ" (إش53: 7)، "كَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ" (إش53: 7).
* وصمت؛ لكى يترك الآب يدافع عنه إذ أقامه من الأموات بمجدٍ عظيم.
* وصمت؛ لكى يعلّمنا أن نحتمل ونصمت ونترك الله يعمل مثل قول موسى للشعب عند البحر الأحمر: "قِفُوا وَانْظُرُوا خَلاَصَ الرَّبِّ.. الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمُتُونَ" (خر14: 13، 14).

**ليتنا نتعلم من صمت مسيحنا فى وقت يكثر فيه الكلام وكتابة الأقلام.**

كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ

جانب أساسى أراد الوحى أن يبرزه فى عبارة "**كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ،** وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ" (إش53: 7) **وهو وداعة السيد المسيح فى طريقه إلى الجلجثة.**

أى أنه كان لا يقاوم الذين اقتادوه إلى الصليب، بل كان حملاً وديعًا يفعل الناس به ما يريدون. وكأنه مثل الحمل لا يعرف أنه يساق إلى الذبح. أو حتى لو عرف الحمل فإنه لا يقاوم.

كان بإمكان السيد المسيح بإشارة منه، أو حتى بمجرد الإرادة الباطنية أن يبدد كل الذين ساقوه إلى الذبح. ولكنه لم يفعل لأنه قد جاء لخلاص العالم.

كان الأسد الخارج من سبط يهوذا يتصرف كشاة!!.. الأسد الوديع.. الأسد الذى استهزأوا به.. الأسد الذى لطموه.. الأسد الذى جلدوه.. الأسد الذى استاقوه وهو يحمل الصليب.. الأسد الذى سمروه.. الأسد الذى طعنوه بعدما سلّم الروح.

هذا الأسد قد سلّم نفسه إلى أيدى الأشرار واحتمل ظلمهم، قد فعل ذلك حُبًا لنا لأنه لم يكن ممكنًا أن يتم الخلاص إلا به هو، وبتضحيته هو، وبقوته هو، إذ غلب الجحيم والموت وقام منتصرًا من الأموات.

لذلك ففى المشهد السماوى رآه يوحنا الرسول فى وسط العرش **كحمل** قائم كأنه مذبوح (انظر رؤ5: 6). ولكن قيل ليوحنا: "لاَ تَبْكِ. هُوَذَا قَدْ غَلَبَ **الأَسَدُ** الَّذِي مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا، أَصْلُ دَاوُدَ، لِيَفْتَحَ السِّفْرَ وَيَفُكَّ خُتُومَهُ السَّبْعَةَ" (رؤ5: 5).

**فهل هو شاة أم أسد؟** يا للعجب!! **هو أسد فى صورة حمل.. وهو حمل وفى قدرته أسد**.. وكيف لا: ألم يتخذ اللاهوت القوى ناسوتًا من العذراء مريم وجعله واحدًا مع لاهوته؟ فمن حيث لاهوته هو أسد ومن حيث ناسوته هو حمل. وكان ينبغى أن يصير الأسد حملاً ليخلّص باقى الحملان. لذلك فإن الله الكلمة "صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقّاً" (يو1: 14).

وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ

"كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، **وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ**" (إش53: 7) من المعروف أن النعجة تقف فى هدوء أثناء جز الصوف من على جسمها، لينتفع به أصحابها، وهكذا لم يقاوم السيد المسيح مَن خلعوا عنه ثيابه عند الجلد وعند الصلب.

وقد تكررت عبارة "لَمْ يَفْتَحْ فَاهُ" (إش53: 7) فى هذه الآية، مع عبارة "الصمت" ولذلك نعود إلى نفس السؤال فى شيءٍ من التفصيل:

لماذا صمت السيد المسيح؟

قد يتساءل البعض: لماذا صمت السيد المسيح؟.. لماذا لم يدافع عن نفسه أمام مجمع اليهود، وأمام بيلاطس البنطى؟.. ولماذا لم يظهر أمام الوالى الرومانى بيلاطس كذب رؤساء كهنة اليهود ورياءهم فى قولهم: "لَيْسَ لَنَا مَلِكٌ إِلاَّ قَيْصَرُ" (يو19: 15) فى الوقت الذى كانوا فيه يجهزون العدّة للثورة ضد قيصر باعتباره المستعمر الرومانى الوثنى؟ لقد حاولوا أن يظهروا السيد المسيح كمقاوم لقيصر، بينما سبق أن قال رؤساء الكهنة والفريسيين فى مجمع اليهود عن السيد المسيح: "إِنْ تَرَكْنَاهُ هَكَذَا يُؤْمِنُ الْجَمِيعُ بِهِ فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيَأْخُذُونَ مَوْضِعَنَا وَأُمَّتَنَا" (يو11: 48)، وقال لهم قيافا رئيس الكهنة فى تلك السنة: "خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلاَ تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا" (يو11: 50). وكانوا يقصدون أن تعاليم السيد المسيح عن السلام ومحبة الأعداء تتعارض مع رغبتهم فى محاربة الرومان. أى محاربة قيصر.

وكان هذا هو المنطلق الذى اعتمد عليه المجمع اليهودى في إصدار حكم المجمع المسبّق بقتل السيد المسيح قبل القبض عليه.

ولماذا لم يحتج السيد المسيح على إطلاق باراباس المجرم المُدان فى مقابل الحكم عليه بالصلب وهو برئ؟ إذ لم يكن هناك وجهًا للمقارنة بينهما، ولم يكن من حق الوالى أن يطلب من اليهود أن يختاروا مَن يطلق لهم؛ يسوع أم باراباس! لأن الاختيار لا يكون بين بارٍ ومجرمٍ أو بين برئٍ ومُدانٍ.

ولماذا لم يشرح السيد المسيح لبيلاطس رسالته الخلاصية، وحقيقة لاهوته، وولادته الأزلية من الآب، والهدف من تجسده وصلبه وقيامته؟ مع أن بيلاطس سأله: "مَا هُوَ الْحَقُّ؟" (يو18: 38)، ولم يجبه السيد المسيح على سؤاله.

**ونجيب على هذه التساؤلات كما يلى**:

**أولاً:** إن السيد المسيح لم يدافع عن نفسه لأنه كان مزمعًا أن يقدّم نفسه ذبيحة إثم، أى أن يحتمل موت الصليب كحامل لخطايا العالم وذلك عوضًا عن البشر ليوفى العدل الإلهى حقه. ولكنه فى نفس الوقت نفى ما يمكن أن يمس تعاليمه لئلا يُساء فهم المسيحية؛ وذلك مثل قوله لبيلاطس: "مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ" (يو18: 36) فى إجابته على سؤال بيلاطس إن كان هو ملك اليهود.

**ثانيًا:** لم يحتج السيد المسيح على إطلاق باراباس والحكم عليه بالموت صلبًا، لأنه أراد أن يقدّم صورة واضحة للمبادلة التى حدثت بين الإنسان الخاطئ والبار القدوس؛ كلمة الله الذى تجسد وتأنس ليأخذ محل الخطاة.

**ثالثًا:** لم يشرح السيد المسيح لبيلاطس "ما هو الحق؟" لأن بيلاطس كان مطالبًا بقبول الحق الأصغر قبل أن يُعلن له الحق الأكبر أو الحق الكامل. وقد رسب بيلاطس فى الامتحان لأنه لم يحكم بالحق إذ حكم على البرئ بالموت صلبًا بالرغم من قوله المشهور: "إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هَذَا الْبَارِّ" (مت27: 24)، ولم ينفعه بالطبع إنه غسل يديه بالماء لأنه اشترك مع اليهود فى مسئولية صلب السيد المسيح. فالاغتسال بالماء يفيد إذا كان مقترنًا بالتوبة والسلوك فى الحق وهذا ما فعله يوحنا المعمدان عند ممارسته لمعمودية التوبة بالماء؛ إذ كان ينذر الجميع لإصلاح طرقهم والاعتراف بخطاياهم (انظر مر1: 5)، ويصرخ فى الجموع الذين أقبلوا إلى معموديته: "اصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ.. وَالآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ فَكُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ" (مت3: 8، 10).

ومن جانب آخر كان الرب قد حرّك قلب زوجة بيلاطس فى حلم وأرسلت إلى زوجها تحذيرًا قبل محاكمته للسيد المسيح مباشرة بقولها "إِيَّاكَ وَذَلِكَ الْبَارَّ لأَنِّي تَأَلَّمْتُ الْيَوْمَ كَثِيرًا فِي حُلْمٍ مِنْ أَجْلِهِ" (مت27: 19). ولكن بيلاطس لم يحكم بالحق خوفًا من ثورة اليهود ومن سلطان القيصر الرومانى. وبذلك لم يكن من حقه أن يؤتمن على معرفة مَن هو المسيح، لأن السيد المسيح قال فى مَثل وكيل الظلم: "إِنْ لَمْ تَكُونُوا أُمَنَاءَ فِي مَالِ الظُّلْمِ **فَمَنْ يَأْتَمِنُكُمْ عَلَى الْحَقِّ**؟" (لو16: 11). إن الروح القدس يعمل فى جميع البشر ولكنه لا يعلن لهم ألوهية السيد المسيح ويدعوهم إلى معمودية الخلاص إلا إذا شعر أنهم يبحثون عن الحق بإخلاص. ولذلك يقول الكتاب "وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: يَسُوعُ رَبٌّ **إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ**" (1كو12: 3).

مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ

وأكمل إشعياء النبى نبواته وقال: **"مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ**" (إش53: 8)، لماذا كان عرق السيد المسيح يتساقط كقطرات الدم أثناء جهاده فى الصلاة فى البستان (انظر لو22: 44)؟!

لاشك أن ضغط الدم كان مرتفعًا جدًا بصورة محسوسة لأننا لا يمكننا أن نفصل المعنوية عن العوامل الطبيعية فى الجسد.

وكان السيد المسيح قد "ابْتَدَأَ يَحْزَنُ وَيَكْتَئِبُ" (مت26: 37)، ويقول لتلاميذه: "نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدّاً حَتَّى الْمَوْتِ" (مت26: 38).

كان الآب قد بدأ ينقل خطايا العالم على فادينا الذى قال عنه يوحنا المعمدان: "هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ" (يو1: 29).

كانت الساعة قد جاءت التى يبدأ فيها إيفاء العدل الإلهى حقه من خلال جسم بشريته حيث بدأ المخلص يجوز "مَعْصَرَةَ خَمْرِ سَخَطِ وَغَضَبِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" (رؤ19: 15).

وقد أشار السيد المسيح إلى مجيء **هذه الساعة** بعدة عبارات مثل قوله: "اَلآنَ نَفْسِي قَدِ اضْطَرَبَتْ. وَمَاذَا أَقُولُ؟ أَيُّهَا الآبُ نَجِّنِي مِنْ هَذِهِ **السَّاعَةِ**" (يو12: 27)، وقوله لليهود: "**هَذِهِ سَاعَتُكُمْ** وَسُلْطَانُ الظُّلْمَةِ" (لو22: 53)، وقوله لتلاميذه: "قَدْ أَتَتِ **السَّاعَةُ** لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ الإِنْسَانِ" (يو12: 23)، وقول يوحنا الإنجيلى عنه: "أَمَّا يَسُوعُ قَبْلَ عِيدِ الْفِصْحِ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ **سَاعَتَهُ** قَدْ جَاءَتْ لِيَنْتَقِلَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ إِلَى الآبِ إِذْ كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى" (يو13: 1)، وفى قول السيد المسيح فى مناجاته مع الآب: "أيُّهَا الآبُ قَدْ أَتَتِ **السَّاعَةُ**. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضًا" (يو17: 1).

كان الهدف فى إيفاء العدل الإلهى حقه هو إظهار قداسة الله كرافض للشر والخطية فى حياة البشر.. وإنه لا يمكن مغفرة خطايا البشرية دون أن تدان الخطية وتظهر بشاعتها لأن "اللَّهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ" (رو8: 3).

وقد تجلّت بشاعة الخطية فيما سببته للسيد المسيح البار حينما أوفى الدين الذى علينا، وهو الهلاك الأبدى، وكما قال القديس كيرلس الكبير: [كان موته هو وحده مساويًا لحياة الجميع] (الرسالة إلى فاليريان أسقف أيقونية).

**إننا نرى بشاعة خطايانا حينما نرى حبيبنا ومخلصنا البار وهو يقاسى مرارة حملها، ويلتهب جسده المقدس بسياطها، بينما قد تلهّينا نحن بلذتها العابرة, معرّضين أبديتنا للضياع**.

لذلك تتحرك قلوب المصلّين مع الأب الكاهن فى قداس القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات وهو يقول: {أنت يا سيدي حوّلت لى العقوبة خلاصًا.. احتملت ظلم الأشرار، بذلت ظهرك للسياط وخدّيك أهملتهما للطم. لأجلى يا سيدى لم ترد وجهك عن خزى البصاق}.

إذن نستطيع فهم عبارة "**مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ**" (إش53: 8)؛ بمعنى أن السيد المسيح قد وقع عليه ضغط شديد بسبب أنه حمل خطايا البشرية، وأوفى دينها، وصار فى موقف الدينونة إذ أن الله الآب قد "جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً - خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ" (2كو5: 21).

لقد أُخذ السيد المسيح إلى الحزن حتى الموت، وأُخذ إلى مشاعر الكآبة التى ينبغى أن يشعر بها الخاطئ بعد ارتكابه للخطية، وأُخذ إلى أن يتذوق الموت بنعمة الله لأجل كل واحد (انظر عب2: 9).

ألياقيم بن حلقيا

وردت نبوة عن السيد المسيح فى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر إشعياء كما يلى:

"فَيَكُونُ أَبًا لِسُكَّانِ أُورُشَلِيمَ وَلِبَيْتِ يَهُوذَا. وَأَجْعَلُ مِفْتَاحَ بَيْتِ دَاوُدَ عَلَى كَتِفِهِ فَيَفْتَحُ وَلَيْسَ مَنْ يُغْلِقُ، وَيُغْلِقُ وَلَيْسَ مَنْ يَفْتَحُ. وَأُثَبِّتُهُ وَتَدًا فِي مَوْضِعٍ أَمِينٍ وَيَكُونُ كُرْسِيَّ مَجْدٍ لِبَيْتِ أَبِيهِ وَيُعَلِّقُونَ عَلَيْهِ كُلَّ مَجْدِ بَيْتِ أَبِيهِ" (إش22: 21-24).

وقد قيلت هذه النبوة منسوبة إلى شخص يدعى "أَلِيَاقِيمَ بْنَ حَلْقِيَّا" (إش22: 20). ولكن لو تأملنا معنى هذا الاسم نجد أنه إشارة إلى السيد المسيح حيث إن:

"**أَلِيَاقِيمَ**" كلمة عبرية معناها "الله يقيم أو من يثبّته الله".

"**حَلْقِيَّا**" كلمة عبرية معناها "يهوه حماية، أو يهوه قسمتى، أو يهوه نصيبى" (مع ملاحظة أن يهوه هو الاسم الخاص لإله إبراهيم).

ولا يخفى بالطبع أن اسم "أَلِيَاقِيمَ" يشير إلى السيد المسيح الذى أقامه الله الآب وثبّته. واسم "حَلْقِيَّا" يشير إلى الآب السماوى؛ الذى يدعوه السيد المسيح (ابن الله المتجسّد والنائب عن البشرية) "يهوه حماية أو يهوه قسمتى أو يهوه نصيبى"؛ لأن السيد المسيح جعل فى الآب حمايته وجعل الآب قسمته، ونصيبه إذ قدَّم نفسه لله بلا عيب **وكنائب عن البشرية** إذ "أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ" (فى2: 7)، احتمى بالآب وأسلم روحه بين يديه.

ومما يؤكّد أن هذه النبوة تخص السيد المسيح هو ما ورد على لسان السيد المسيح نفسه عندما ظهر لتلميذه يوحنا الرسول الإنجيلى وتم تدوينه فى سفر الرؤيا كما يلى:

"اكْتُبْ إِلَى مَلاَكِ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي فِيلاَدَلْفِيَا: هَذَا يَقُولُهُ الْقُدُّوسُ الْحَقُّ، الَّذِي **لَهُ مِفْتَاحُ دَاوُدَ، الَّذِي يَفْتَحُ وَلاَ أَحَدٌ يُغْلِقُ، وَيُغْلِقُ وَلاَ أَحَدٌ يَفْتَحُ"** (رؤ3: 7)، فهى نفس الكلمات التى وردت فى سفر إشعياء على لسان الآب السماوى "وَأَجْعَلُ مِفْتَاحَ بَيْتِ دَاوُدَ عَلَى كَتِفِهِ فَيَفْتَحُ وَلَيْسَ مَنْ يُغْلِقُ وَيُغْلِقُ وَلَيْسَ مَنْ يَفْتَحُ. وَأُثَبِّتُهُ وَتَدًا فِي مَوْضِعٍ أَمِينٍ" (إش22: 22، 23).

الصليب ومفتاح داود

والآن يلزمنا أن نتأمل فى معنى "**مفتاح داود**" الذى ورد فى هذه النبوة وتأكد فى كلام السيد المسيح فى سفر الرؤيا.

نلاحظ أن ما ورد فى سفر إشعياء قد جعل المفتاح على كتف السيد المسيح. ولا يخفى أن السيد المسيح قد حمل الصليب على كتفه وهو خارج ليصلب كما ورد فى إنجيل يوحنا "فَأَخَذُوا يَسُوعَ وَمَضَوْا بِهِ. **فَخَرَجَ وَهُوَ حَامِلٌ صَلِيبَهُ** إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ مَوْضِعُ الْجُمْجُمَةِ وَيُقَالُ لَهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ جُلْجُثَةُ" (يو19: 17).

ونفهم من ذلك أن **مفتاح داود هو صليب السيد المسيح** فى أحد معانيه الأساسية والذى بواسطته قد تم الفداء والخلاص، واقتحام الجحيم وفك المأسورين، وفتح الفردوس وإدخال الذين رقدوا على رجاء الخلاص إليه، وكل ذلك بقوة الصليب "فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ" (1كو1: 18).

والعجيب أن النبوة فى إشعياء تشير إلى الصليب بوضوح فتقول عن مفتاح داود: "وَأُثَبِّتُهُ **وَتَدًا** فِي مَوْضِعٍ أَمِينٍ وَيَكُونُ **كُرْسِيَّ مَجْدٍ** لِبَيْتِ أَبِيهِ **وَيُعَلِّقُونَ عَلَيْهِ** كُلَّ مَجْدِ بَيْتِ أَبِيهِ" (إش22: 23، 24).

ما أعجب هذا الصليب الذى دخل فى حجارة الجلجثة وصار **وتدًا** ثابتًا إلى أبد الدهور وفيه الخلاص وفيه الأمان إذ هو قوة الله للخلاص. وصار **عرشًا** للملك المسيح **"كُرْسِيَّ** مَجْدٍ لِبَيْتِ أَبِيهِ" ملك به على قلوب المفديين الذين اشتراهم بدمه الثمين. **وعليه تم تعليق** كل مجد بيت الآب. **فعلى الصليب تألقت المحبة فى أجلى معانيها**.

تتغنى الكنيسة بالصليب فى يوم الجمعة العظيمة وتردد المزمور "**كُرْسِيُّكَ يَا اَللهُ** إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ الاسْتِقَامَةٍ هو قَضِيبُ مُلْكِكَ" (مز44: 6، عب1: 8). قيل هذا الكلام عن الابن الوحيد الجنس إنه هو الله الذى ملك على كرسيه وهو عرش الصليب.

وعن عبارة "وَيَكُونُ كُرْسِيَّ **مَجْدٍ** لِبَيْتِ أَبِيهِ وَيُعَلِّقُونَ عَلَيْهِ كُلَّ **مَجْدِ** بَيْتِ أَبِيهِ" (إش22: 24)، ورد أيضًا فى سفر إشعياء عن السيد المسيح "**وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَصْلَ يَسَّى الْقَائِمَ رَايَةً لِلشُّعُوبِ إِيَّاهُ تَطْلُبُ الأُمَمُ وَيَكُونُ مَحَلُّهُ مَجْدًا"** (إش11: 10). هذا هو **مجد المحبة، ومجد الخلاص، ومجد أبوة الله للبشرية،** **ومجد الكنيسة**. هذا هو **مجد المصلوب** المعلّق على الصليب الذى "**َيُعَلِّقُونَ عَلَيْهِ** كُلَّ مَجْدِ بَيْتِ أَبِيهِ" (إش22: 24).

الباب السادس

نبوات عن موت المسيح المحيى

وقبره

الموت المحيى

حمل السيد المسيح أحزاننا وأوجاعنا الجسدية التى استحققناها بسبب خطايانا، بل وصل الأمر من تخطى الحزن والوجع إلى الموت الجسدى الذى اجتمعت فيه الأحزان مع الآلام المبرحة والجراحات الجسدية والنزيف الحاد الذى أدّى إلى الموت السريع حينما سلّم روحه فى يدى الآب بعد أن أكمل شُرب الكأس إلى النهاية.

وبالرغم من أن الموت قد أخذ روحه من الجسد؛ إلا أن **روحه المتحد باللاهوت قد هزم الموت**. مثلما قال القديس مار أفرام السريانى: {**ذبح الموت الحياة العادية، ولكن الحياة فوق العادية ذبحته**} وهو يقصد بالحياة العادية أى حياة الجسد، وبالحياة فوق العادية أى الحياة الإلهية التى للسيد المسيح بحسب لاهوته**.**

وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ

كان السيد المسيح هو الوحيد بين البشر الذى بلا خطية، لذلك قال لليهود: "مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيَّةٍ؟" (يو8: 46). ولذلك لم يكن من المتوقع أن يموت السيد المسيح لأنه لم يرث حكم الموت ولا الميل الطبيعى للخطية، لأنه لم يرث الخطية الأصلية. وبالرغم من أنه أخذ جسدًا قابلاً للموت إلا أن اتحاد اللاهوت بالناسوت قد منع عنه الفساد بعد الموت، كما أنه قد أعطاه قوة التحرر من الموت بالقيامة من الأموات. ولكن اللاهوت لم يتدخل ليمنع عن السيد المسيح الألم والموت عندما حمل خطايا العالم لأنه كالتدبير قد ذاق بنعمة الله الموت لأجل كل أحد ليوفى دين جميع الذين مات من أجلهم.

لذلك يقول إشعياء النبى: "**وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ**" **(إش53: 8)** أى أنه كان فوق تصور التلاميذ الذين آمنوا أنه هو "**الْمَسِيحُ ابن اللَّهِ الْحَيِّ"** (مت16: 16)أنه من الممكن أن يموت.

كان التلاميذ يتعجبون: كيف يموت من أقام لعازر من الأموات بعد موته بأربعة أيام بكلمة من فمه القدوس؟!!..

وكانوا يتعجبون أيضًا: كيف من كان له سلطان على الطبيعة تأتمر بأمره، أن ينحدر إلى الموت؟!!..

كيف يموت رب الحياة ورئيس الحياة؟!.. كيف يموت من قال عن نفسه: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ" (يو11: 25). ومن قال: "خُبْزَ اللَّهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ" (يو6: 33). ومن قال: "أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ" (يو6: 35). ومن قال: "كمَا أَرْسَلَنِي الآبُ الْحَيُّ وَأَنَا حَيٌّ بِالآبِ" (يو6: 57). ومن قال: "كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ كَذَلِكَ أَعْطَى الابن أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ" (يو5: 26). كيف لمن قال كل ذلك أن يموت؟!!..

ولكن التلاميذ فهموا فيما بعد أنه لم يمت طبعًا بحسب لاهوته ولكنه مات بحسب التدبير جسديًا فقط لكى يوفى الدين ويرفع الغضب الإلهى ويقتل العداوة ويدين الخطية بالجسد.

لقد انحدر السيد المسيح إلى الموت ليبيد الموت، وكانت هذه هى الوسيلة، كما ورد فى قداس القديس يوحنا ذهبى الفم هذا النشيد للسيد المسيح: {**عندما انحدرت إلى الموت أيها الحياة الذى لا يموت. حينئذٍ أمتّ الجحيم ببرق لاهوتك.** وعندما أقمت الأموات من تحت الثرى صرخ نحوك جميع القوات السماويين أيها المسيح الإله معطى الحياة المجد لك}.

أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي

وقد أكمل القديس إشعياء النبى نبوته بقوله: "**أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي" (إش53: 8)،** أى أنه أجاب على التساؤل الوارد فى بداية هذا النص "مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ؟"؛ بقوله "أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي". أى أن موته كان فداءً عن الجميع. لأن موته هو وحده كما قال القديس كيرلس الكبير كان مساويًا لحياة الجميع، وقال ذلك فى شرحه لقول معلمنا بولس الرسول: "إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ. فَالْجَمِيعُ إِذًا مَاتُوا" (2كو5: 14).

وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ

كان من الطبيعى أن تنتقل نبؤة إشعياء النبى من الحديث عن موت السيد المسيح بحسب الجسد بقوله: "أَنَّهُ **قُطِعَ** مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ"، إلى الحديث عن مسألة دفنه بعد الموت الجسدى "**وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ** **وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ" (إش53: 9).**

الاستعداد للدفن

كانت مقبرة المجرمين قد تم إعدادها للمصلوبين. وكان السيد المسيح قد "أُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ" (إش53: 12)، لأنه صُلب فى وسط لصين. وكان من المفترض أن يتم دفنه معهما فى هذه المقبرة الكبيرة الجماعية مثلما صُلب معهما صلبًا جماعيًا على جبل "الجلجثة" وهو موضع الإعدام، وسُمى بجبل "الجمجمة" لهذا السبب.

تغيير المسار

ولكن كيف كان يمكن إثبات قيامة المسيح لو كان قد دُفن فى وسط أجساد اللصين وأجساد المجرمين السابق إعدامهم؟!

لذلك حرّك الروح القدس يوسف الرامى ليذهب مع نيقوديموس ويطلبان من الوالى بيلاطس أن يعطيهما جسد يسوع، وجعل الوالى يستجيب لهذا الطلب مع أنه قبلها قد ظلم السيد المسيح وحكم عليه بالإعدام بعد أن شهد له أنه برئ وبار وذلك لأنه خاف على نفسه.

فى قبر يوسف الرامى

كان القبر الذى دُفن فيه السيد المسيح بالفعل منحوتًا فى صخرة، وليس له منفذ سوى الفتحة أو الباب الذى وُضع عليه حجر كبير، وختمه اليهود والرومان بعد ذلك بعد أن تأكّدوا من وجود الجسد بداخله، ووضعوا عليه الحراس إلى اليوم الثالث من الدفن.

كان قبرًا بكرًا لم يُوضع فيه أحد قط من الناس، وليس فيه عظام أموات ولا رائحة الموت. بل فاحت منه رائحة الناردين الخالص الكثير الثمن الذى سكبته النسوة على جسده المبارك وهو بعد حى فى مساء السبت، ومساء الثلاثاء السابق لجمعة الصلبوت.

**كانت رائحة الحب ورائحة الحياة تفوح من قبر السيد المسيح، إذ صار هو باكورة الراقدين.**

فهو **البكر** من الآب قبل كل الدهور، و**البكر** من العذراء فى ملء الزمان، **والبكر** فى طاعته الكاملة للآب، **والبكر** فى دخوله إلى الفردوس، **والبكر** فى قيامته من الأموات، **والبكر** فى صعوده إلى سماء السماوات، **والبكر** فى دخوله إلى قدس الأقداس السماوى فى الملكوت.

كذلك كان قبره **بكرًا** لم ولن يوضع فيه أحد من الناس مثل رحم السيدة العذراء الذى كان بكرًا ولم يعبر فيه إنسان بعد ولادة السيد المسيح بل نؤمن أن العذراء دائمة البتولية.

وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ

إن عبارة "وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ" (إش53: 9) تحمل أيضًا كثير من المعانى إلى جوار أنها **نبوة عن دفن السيد المسيح فى قبر الرجل الغنى يوسف الرامى**.

فهى **تشير إلى قول السيد المسيح** عندما سلّم الروح على الصليب "**يَا أَبَتَاهُ فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي**" (لو23: 46).

فبالرغم من أن السيد المسيح قد أُحصى مع أثمة بصلبه وسط لصين، إلا أنه قد سلّم روحه الطاهرة فى يدى **الآب الغنى.**

**لقد تنازل إلى تواضعنا ليرفعنا إلى أحضان أبيه. شاركنا فى فقرنا ليشركنا فى غناه. احتمل الموت المقضى به علينا ليمنحنا أن نرث الحياه الأبدية.**

كذلك فإن عبارة "وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ" **تشير إلى أن السيد المسيح قد ذهب فكرز لأرواح الأبرار الذين رقدوا على رجاء القيامة**، ومنهم الآباء البطاركة الأول إبراهيم وإسحق ويعقوب. ومنهم الملوك والرؤساء مثل يوسف الصديق، وداود النبى والملك، وسليمان أغنى ملوك الأرض، وحزقيال، ومردخاى مربى أستير الملكة الذى كرّمه الملك أحشويرش، ودانيال النبى كبير المجوس، والمجوس الذين جاءوا من المشرق وسجدوا له وهو طفل وقدّموا ذهبًا فى هداياهم إشارة إلى ملكه.

لقد رحّب به الآباء البطاركة والملوك والرؤساء والأنبياء الذين حررهم من الجحيم وأصعدهم إلى الفردوس، وكان فى هذا كله هو ملك الملوك ورأس الرئاسات وقائد مسيرة المفديين.

الباب السابع

نبوات عن

ذبيحة الابن الوحيد وقبولها لدى الآب

فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا

هذه العبارة أوردها القديس بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (1كو5: 7). وهو يعتبر أن السيد المسيح هو الفصح الجديد الذى كان يرمز إليه قديمًا الحمل الذى كان يذبحه شعب إسرائيل كل عام ما بين العشائين فى عيد الفصح تذكارًا لعبور الملاك المهلك عن أبكار بنى إسرائيل عندما صنعوا الفصح فى مصر ووضعوا علامة الدم على العتبة العليا والقائمتين (انظر خر12: 7)، كرمز للدم الذى سفك على الصليب لأن الإناء الذى فيه الدم كان أسفل العتبة العليا صانعًا صليبًا مع الثلاث علامات الأخرى.

إن دم الصليب هو الذى ينقذنا من الملاك المهلك؛ أى ينقذنا من الهلاك الأبدى. ويلاحظ أن الفصح لم يكن بعلامة الدم فقط بل بأكل الفصح، إذ أن الخروف المذبوح أكله الشعب مشويًا فى ليلة خروجهم من أرض العبودية.

لذلك فإن العشاء الربانى بالنسبة لنا هو أن نصنع ذكرى حقيقية للفصح، ونأكل جسد الرب تحت أعراض الخبز ونشرب من الكأس التى للعهد الجديد دمًا حقيقيًا تحت أعراض الخمر.

إننا نعيش الذكرى ونتمتع ببركات الخلاص فى سر الإفخارستيا ونستعد لذلك بالتوبة والاعتراف ونتحرر من عبودية الخطية. لذلك نقول فى الاعتراف الأخير فى القداس الإلهى أنه يُعطى عنا [خلاصًا وغفرانًا للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه].

إننا نتحد بالحياة الأبدية الممنوحة لنا فى المسيح وهذا هو معنى الاتحاد بالمسيح فى سر الإفخارستيا. **لا يمكن أن نتحد بالجوهر الإلهى ولكن نتحد بالطاقة الممنوحة من الله وهى طاقة فائقة للطبيعة**.

أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحُزْنِ

"أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحُزْنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ **ذَبِيحَةَ إِثْمٍ**" (إش53: 10)، مقصود هنا أن الآب قد سُرَّ بأن يسحق السيد المسيح بالحزن؛ لأنه حمل خطايا العالم، وقدَّم كفّارة عنها. والكتاب يقول: "الْحُزْنَ الَّذِي بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يُنْشِئُ تَوْبَةً لِخَلاَصٍ بِلاَ نَدَامَةٍ"ً (2كو7: 10)

عن هذه المسألة تكلّم معلمنا بولس الرسول وقال عن الآب الذى سمح بأن يوفى ابنه الوحيد الجنس كل ديون الخطية نيابة عن البشر: "الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابنهِ بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟" (رو8: 32).

وذكر القديس يوحنا الإنجيلى قول السيد المسيح لنيقوديموس: "لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ الجنس لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو3: 16).

ولكن هل الآب فقط هو الذى سُرَّ بسحق ابنه الوحيد المتجسد بالحزن؟! إننا نقرأ عن السيد المسيح فى صنعه الفداء أنه "مِنْ أَجْلِ **السُّرُورِ** الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْخِزْيِ" (عب12: 2). وهذا يعنى أن السيد المسيح هو أيضًا كان له سرور بخلاص البشرية. ولكنه من الناحية الإنسانية قد نال هذا السرور بعدما أكمل أحزانه وآلامه المختصة بالصليب. أى أن سرور السيد المسيح المقصود (إنسانيًا) قد حدث عندما حرر المسبيين من الجحيم، وعندما فتح الفردوس، وعندما قام من الأموات منتصرًا على الموت إذ "َأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُود"ِ (2تي1: 10).

إن الآب لم يَظلم ابنه الوحيد المتجسد حينما تركه يتألم على الصليب "لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللهِ الْمَوْتَ لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ" (عب2: 9).. لم يظلمه: لأنه قد رفعه إلى أعلى السماوات وأدخله إلى المجد السمائى ومجّده عند ذاته بالمجد الذى أخلى منه نفسه حينما تجسد؛ وهو المجد الذى كان له عند الآب قبل تأسيس العالم (انظر يو17: 5).

ولم يظلمه أيضًا لأنه "أَعْطَاهُ اسمًا فَوْقَ كُلِّ اسم. لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسم يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآب"ِ (فى 2: 9-11).

**إن كل ما ذكرناه قد تم بقدرة إلهية واحدة هى قدرة الآب والابن والروح القدس، ولكن كل طاقة صادرة من الثالوث لها أصلها فى الآب وتتحقق بالابن فى الروح القدس كما قال الآباء القديسون.**

**وما يعنينا هنا هو أن نؤكّد أن الآب لم يظلم ابنه المتجسد عندما تطوّع الابن لخلاص البشرية بل على العكس لقد نال فى الجسد تمجيدًا وتكريمًا يفوق بمراحل ما لحق به من إهانات بما لا يقاس.**

السحق والانسحاق

حينما يسحقون شيئًا يحولونه من شيء متماسك إلى مسحوق غير متماسك. يتحول من الجماد إلى السيولة، ولا يكون له شكل محدد بل يتشكل بحسب الحيّز الموضوع فيه. والمسحوق لا يقاوم بل يخضع فى كل شيء.

**السحق هو أعلى درجات الإخضاع** لذلك يقول المزمور عن الرجل الشرير الذى يظلم المساكين "فَمُهُ مَمْلُوءٌ لَعْنَةً وَغِشّاً وَظُلْمًا.. يَكْمُنُ لِيَخْطُفَ الْمِسْكِينَ. يَخْطُفُ الْمِسْكِينَ بِجَذْبِهِ فِي شَبَكَتِهِ. **فَتَنْسَحِقُ** وَتَنْحَنِي وَتَسْقُطُ الْمَسَاكِينُ بِبَرَاثنهِ. قَالَ فِي قَلْبِهِ: إِنَّ اللهَ قَدْ نَسِيَ. حَجَبَ وَجْهَهُ. لاَ يَرَى إِلَى الأَبَدِ" (مز10: 7 ، 9-11).

ومن الجانب الآخر فإن **أفضل شيء فى الصلاة هو الانسحاق**. والانسحاق فى الصلاة والتواضع أمران متلازمان، فالقلب المنسحق هو نفسه القلب المتواضع، والقلب المتواضع لابد أن ينسحق أمام الله فى الصلاة.

فالسحق هو تعبير عن انسحاق السيد المسيح بالحزن، الانسحاق الضرورى لكل إنسان تائب عن خطاياه. والسيد المسيح كحامل لخطايا العالم قد **قدّم انسحاقًا يوفى كل انسحاق البشرية**، وقد قدّم طاعة توفى كل طاعة البشر اللائقة للآب، بعد تمرد الإنسان بالمعصية؛ وهو سبب السقوط المؤدى إلى الهلاك الأبدى.

فكما أن موت السيد المسيح كان عوضًا عن موت الجميع كقول بولس الرسول: "إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ. فَالْجَمِيعُ إِذًا مَاتُوا" (2كو5: 14)؛ هكذا أيضًا كان السحق هو عوضًا عن سحق الجميع، والحزن عوضًا عن حزن الجميع.

ما أجمل سيمفونية الحب هذه أن السيد المسيح قد ناب عنّا فى كل شيء وأرضى قلب أبيه السماوى من حيث إنه كان هو آدم الثانى.. آدم الجديد.. رئيس الخلاص.. رئيس الكنيسة ورأسها وينبوع خلاصها ومجدها "لأَنَّهُ لاَقَ بِذَاكَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ الْكُلُّ وَبِهِ الْكُلُّ، وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ أَنْ يُكَمِّلَ **رَئِيسَ خَلاَصِهِمْ** بِالآلاَمِ" (عب2: 10).

إن الكتاب المقدس يدعونا إلى **الانسحاق** فى كل شيء إذ يقول المزمور "الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَ**الْمُنْسَحِقُ** يَا اللهُ لاَ تَحْتَقِرُهُ" (مز51 (50): 17).

وأيضًا يقول المزمور "الذَبيحة للهِ رُوحٌ **مُنْسِحق**" (مز50 (51): 17).

كذلك يقول فى سفر الأمثال "بِحُزْنِ الْقَلْبِ **تَنْسَحِقُ** الرُّوحُ" (أم15: 13).

وفى سفر إشعياء "لأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ الْعَلِيُّ الْمُرْتَفِعُ سَاكِنُ الأَبَدِ الْقُدُّوسُ اسمهُ: فِي الْمَوْضِعِ الْمُرْتَفِعِ الْمُقَدَّسِ أَسْكُنُ **وَمَعَ الْمُنْسَحِقِ** وَالْمُتَوَاضِعِ الرُّوحِ لأُحْيِيَ رُوحَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَلأُحْيِيَ قَلْبَ **الْمُنْسَحِقِينَ**" (إش57: 15). ويبدو أن هذا القول هو الأصل الذى أخذ منه القداس الباسيلى عبارة [الساكن فى الأعالى والناظر إلى المتواضعين].

ويقول أيضًا فى سفر إشعياء "وَكُلُّ هَذِهِ صَنَعَتْهَا يَدِي فَكَانَتْ كُلُّ هَذِهِ يَقُولُ الرَّبُّ. وَإِلَى هَذَا أَنْظُرُ: إِلَى الْمِسْكِينِ وَ**الْمُنْسَحِقِ** الرُّوحِ وَالْمُرْتَعِدِ مِنْ كَلاَمِي" (إش66: 2).

كل هذه الأقوال الكتابية تدلنا على أن **الانسحاق** هو أحد الركائز الرئيسية فى العلاقة مع الله: فى التفكير، فى الصلاة، فى الخدمة، فى تنفيذ الوصية الإلهية، فى محاربة الشياطين، فى مواجهة خطية الكبرياء. لأن الكتاب يقول "قَبْلَ الْكَسْرِ الْكِبْرِيَاءُ وَقَبْلَ السُّقُوطِ تَشَامُخُ الرُّوحِ" (أم 16: 18).

ليعطنا الرب انسحاقًا حتى تكون عبادتنا مقبولة أمامه إذ نصلى ونقول: نحن غير مستحقين، "ولكن **لانسحاق** نفوسنا وتواضع أرواحنا اقبلنا" (دا 3: 39).

إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ

عبارة "إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ" (إش53: 10)، وأيضًا عبارة "**إِلَى الذَّبْحِ**" (إش53: 7) التى قالها إشعياء النبى، وعبارة "**ذُبِحَ** لأَجْلِنَا" (1كو5: 7) التى قالها معلمنا بولس الرسول، كما ورد فى سفر الرؤيا "خَرُوف قَائِمٌ كَأَنَّهُ **مَذْبُوحٌ**" (رؤ5: 6)، نلاحظ أن هذه العبارات كلها تشير إلى أن السيد المسيح قد **ذُبح** على الصليب ولم يمت مخنوقًا مثل اللصين اللذين صُلبا معه.

وذلك لأن اللصين قد كُسرت سيقانهما فتعلقا من أيديهما ولم يمكنهما التنفس، فماتا بعد ذلك مباشرةً. أما السيد المسيح فقد مات نتيجة للنزيف الحاد الذى نتج عن الجلد الرومانى والصلب التالى له.

فالسيد المسيح **هو ذبيحة** بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى. وكان صدره مملوءًا بالدماء (الهيموجلوبين + البلازما + بعض المياه). وحينما طعنه الجندى بحربة فى جنبه؛ جرى منه دم وماء، ليظهر لنا أنه مات بنزف دمه مذبوحًا من الداخل.

كان هناك خمسة أنواع من الذبائح والقرابين فى شريعة موسى وهى التى أمر بها الرب:

1- ذبيحة المحرقة.

2- ذبيحة السلامة أو ذبيحة شكر السلامة.

3- ذبيحة الخطية.

4- ذبيحة الإثم.

5- تقدمة القربان.

كان من الصعب أن يعبّر نوع واحد من الذبائح والتقدمات عن الجوانب المتعددة لذبيحة الصليب العظيمة، لهذا تعددت الأنواع بهذه الصورة لكى تعبّر فى مجموعها عن المعانى المذخرة فى ذبيحة الصليب.

* **فذبيحة المحرقة:** تشير إلى طاعة المسيح الكاملة لله أبيه بقبوله الموت على الصليب إذ "وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ" (فى2: 8).

وقيل عن هذا النوع من الذبائح: "وَيُوقِدُ الْكَاهِنُ الْجَمِيعَ عَلَى الْمَذْبَحِ **مُحْرَقَةً وَقُودَ رَائِحَةِ سُرُورٍ لِلرَّبِّ**" (لا1: 9).

كانت الذبيحة بعد سلخها وتقطيعها وغسل أحشائها، يُقدّم لحمها وشحمها وأحشاؤها كاملة على المذبح فوق الحطب الذى على النار التى على المذبح. أى تحرق بكاملها وتتحول إلى رماد وتتصاعد أبخرتها رائحة سرور للرب.

* **وذبيحة السلامة أو شكر السلامة:** وهى ترمز إلى سر الشكر أو سر الإفخارستيا، ويشترك فى أكلها الكهنة ومقدم الذبيحة (صدر الترديد والساق اليمنى للكهنة). ويقدم معها أقراص فطير ملتوتة بزيت ورقائق فطير مدهونة بزيت مع أقراص خبز خمير. ولا يقرب من كل ذلك على المذبح سوى شحم الذبيحة الذى يوقد على المذبح (انظر لا 7: 11- 34).

فالفطير الملتوت بالزيت يشير إلى جسد يسوع الذى حبل به فى العذراء مريم بالروح القدس، والرقائق المدهونة بالزيت تشير إليه عند مسحه فى نهر الأردن بالروح القدس، والفطير يشير إلى خلوه من الخمير الذى يرمز إلى الخطية. أما أقراص خبز الخمير فتشير إليه حينما حمل خطايا العالم على الصليب، مثلما قال بولس الرسول عن الآب فى بذله للابن على الصليب: "جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ" (2كو5: 21).

* **وذبيحة الخطية:** ترمز إلى التكفير عن خطايا السهو "إِذَا أَخْطَأَتْ نَفْسٌ سَهْوًا فِي شَيْءٍ مِنْ جَمِيعِ مَنَاهِي الرَّبِّ الَّتِي لاَ يَنْبَغِي عَمَلُهَا وَعَمِلَتْ وَاحِدَةً مِنْهَا" (لا 4: 1). وقيل عن ذبيحة خطية الكاهن الممسوح وخطية كل جماعة إسرائيل أن الذبيحة تكون ثورًا، وعن خطية رئيس أن الذبيحة تكون تيسًا من الماعز ذكرًا صحيحًا، وعن خطية أحد من عامة الأرض (أى عامة الشعب) أن الذبيحة تكون عنزًا من الماعز أنثى صحيحة. وعلى سبيل المثال قيل عن خطية الجماعة ما يلى:

"وَإِنْ سَهَا كُلُّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ وَأُخْفِيَ أَمْرٌ عَنْ أَعْيُنِ الْمَجْمَعِ وَعَمِلُوا وَاحِدَةً مِنْ جَمِيعِ مَنَاهِي الرَّبِّ الَّتِي لاَ يَنْبَغِي عَمَلُهَا وَأَثِمُوا. ثُمَّ عُرِفَتِ الْخَطِيَّةُ الَّتِي أَخْطَأُوا بِهَا يُقَرِّبُ الْمَجْمَعُ ثَوْرًا ابن بَقَرٍ **ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ**. يَأْتُونَ بِهِ إِلَى قُدَّامِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. وَيَضَعُ شُيُوخُ الْجَمَاعَةِ أَيْدِيَهُمْ عَلَى رَأْسِ الثَّوْرِ أَمَامَ الرَّبِّ وَيَذْبَحُوا الثَّوْرَ أَمَامَ الرَّبِّ. وَيُدْخِلُ الْكَاهِنُ الْمَمْسُوحُ مِنْ دَمِ الثَّوْرِ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. وَيَغْمِسُ الْكَاهِنُ إِصْبِعَهُ فِي الدَّمِ وَيَنْضِحُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَمَامَ الرَّبِّ لَدَى الْحِجَابِ. وَيَجْعَلُ مِنَ الدَّمِ عَلَى قُرُونِ الْمَذْبَحِ الَّذِي أَمَامَ الرَّبِّ فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. وَسَائِرَ الدَّمِ يَصُبُّهُ إِلَى أَسْفَلِ مَذْبَحِ الْمُحْرَقَةِ الَّذِي لَدَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. وَجَمِيعَ شَحْمِهِ يَنْزِعُهُ عَنْهُ وَيُوقِدُهُ عَلَى الْمَذْبَحِ. وَيَفْعَلُ بِالثَّوْرِ كَمَا فَعَلَ بِثَوْرِ الْخَطِيَّةِ. كَذَلِكَ يَفْعَلُ بِهِ. وَيُكَفِّرُ عَنْهُمُ الْكَاهِنُ فَيُصْفَحُ عَنْهُمْ. ثُمَّ يُخْرِجُ الثَّوْرَ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ وَيُحْرِقُهُ كَمَا أَحْرَقَ الثَّوْرَ الأَوَّلَ. إِنَّهُ ذَبِيحَةُ خَطِيَّةِ الْمَجْمَعِ" (لا4: 13- 21).

ومقصود بالثور الأول أو "ثور الخطية" أى الذى ذُكر قبل ذلك وهو ثور خطية الكاهن الممسوح. أما باقى ذبائح الخطية سواء لأحد الرؤساء أو لواحد من عامة الشعب فلها طقوس مشابهة لذلك للتكفير عن الخطية.

* **وذبيحة الإثم**: لها بُعدان: فهى تخص الخطأ سهوًا فى أقداس الرب، أو **الخطأ عمدًا** فى خطية مثل السرقة وفى كلتا الحالتين عليه التعويض عن الخطأ أو إعادة المسلوب. وقيل عنها ما يلى:

"إِذَا خَانَ أَحَدٌ خِيَانَةً وَأَخْطَأَ سَهْوًا فِي أَقْدَاسِ الرَّبِّ، يَأْتِي إِلَى الرَّبِّ بِذَبِيحَةٍ لإِثْمِهِ.. **وَيُعَوِّضُ عَمَّا أَخْطَأَ بِهِ مِنَ الْقُدْسِ وَيَزِيدُ عَلَيْهِ خُمْسَهُ** وَيَدْفَعُهُ إِلَى الْكَاهِنِ، فَيُكَفِّرُ الْكَاهِنُ عَنْهُ **بِكَبْشِ الإِثْمِ** فَيُصْفَحُ عَنْهُ" (لا5: 15، 16)

وأيضًا "إِذَا أَخْطَأَ أَحَدٌ وَخَانَ خِيَانَةً بِالرَّبِّ **وَجَحَدَ صَاحِبَهُ وَدِيعَةً أَوْ أَمَانَةً أَوْ مَسْلُوبًا أَوِ اغْتَصَبَ مِنْ صَاحِبِهِ. أَوْ وَجَدَ لُقَطَةً وَجَحَدَهَا وَحَلَفَ كَاذِبًا عَلَى شَيْءٍ مِنْ كُلِّ مَا يَفْعَلُهُ الإِنْسَانُ مُخْطِئًا بِهِ**. فَإِذَا أَخْطَأَ وَأَذْنَبَ يَرُدُّ الْمَسْلُوبَ الَّذِي سَلَبَهُ، أَوِ الْمُغْتَصَبَ الَّذِي اغْتَصَبَهُ، أَوِ الْوَدِيعَةَ الَّتِي أُودِعَتْ عِنْدَهُ، أَوِ اللُّقَطَةَ الَّتِي وَجَدَهَا، أَوْ كُلَّ مَا حَلَفَ عَلَيْهِ كَاذِبًا. يُعَوِّضُهُ بِرَأْسِهِ وَيَزِيدُ عَلَيْهِ خُمْسَهُ. إِلَى الَّذِي هُوَ لَهُ **يَدْفَعُهُ يَوْمَ ذَبِيحَةِ إِثْمِهِ**. وَيَأْتِي إِلَى الرَّبِّ بِذَبِيحَةٍ لإِثْمِهِ كَبْشًا صَحِيحًا مِنَ الْغَنَمِ بِتَقْوِيمِكَ **ذَبِيحَةَ إِثْمٍ** إِلَى الْكَاهِنِ. فَيُكَفِّرُ عَنْهُ الْكَاهِنُ أَمَامَ الرَّبِّ فَيُصْفَحُ عَنْهُ فِي الشَّيْءِ مِنْ كُلِّ مَا فَعَلَهُ مُذْنِبًا بِهِ"(لا6: 1- 7).

وقد ادّعى البعض أن خطايا العمد لا يكفّر عنها بذبيحة، ونشروا ذلك فى كتاب عن القديس بولس الرسول. وهم فى هذا يتجاهلون أن خطايا السرقة، والاغتصاب، والقسم الكاذب المذكورة فى شريعة ذبيحة الإثم، هى جميعها خطايا عمد ويلزم للتكفير عنها تقديم ذبيحة كبش صحيح من الغنم. أما خطايا السهو فيقدّم عنها عنزًا من الماعز أنثى صحيحة. كما أن خطايا العمد يلزم التعويض فيها للمجنى عليه بنفس المقدار ويزيد عليه الخُمس.

لهذا قال إشعياء النبى عن السيد المسيح: "**إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ**" (إش53: 10). بمعنى أن **السيد المسيح قد كفّر عن خطايا العمد كما كفّر عن خطايا السهو، وأنه قد سدد الدين الذى علينا،** وزاد على ذلك أيضًا لمن يسلك مثل الخمس العذارى الحكيمات **ويقتنى الفضائل** الروحية وثمار النعمة. وقد عبّر عن ذلك معلمنا بولس الرسول بقوله: "**وَلَكِنْ لَيْسَ كَالْخَطِيَّةِ هَكَذَا أَيْضا ًالْهِبَةُ**" (رو5: 15).

وما أجمل دقة النبوة فى أن السيد المسيح هو حمل الله الذى يحمل خطايا العالم.

* **أما تقدمة القربان:** فكانت تشير إلى كهنوت السيد المسيحوإلى نقاوة طبيعته الإنسانية وخلوّها من الخطية. وكانت من الدقيق والزيت واللبان (البخور) أو أقراصًا من دقيق فطيرًا ملتوتة بزيتٍ ورقاقًا فطيرًا مدهونة بزيت بدلاً من الدقيق العادى (انظر لا2: 1-16).

فالفطير أو الدقيق خالى من الخمير، واللبان رمز للبخور الكهنوتى.

وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ

وردت هذه العبارة فى (إش53: 10)؛ فلم ينجح أحد قبل السيد المسيح فى إتمام مسرة الرب بالكامل. فجميع البشر كانوا محتاجين إلى الخلاص من فساد الطبيعة ومن حكم الموت الأبدى ولم يفلت أحد قبل مجيء السيد المسيح من هذا الوضع المحزن.

وقد وردت عبارات أخرى تشير إلى أن مسرة الرب كانت وسوف تكون على الدوام بواسطة الابن الوحيد الجنس ربنا يسوع المسيح.

فقد ورد فى سفر إشعياء عن السيد المسيح قول الآب: "مُخْتَارِيالَّذِي **سُرَّتْ بِهِ** نَفْسِي" (إش42: 1). وأثناء عماد السيد المسيح فى نهر الأردن بيد يوحنا المعمدان جاء صوت الآب من السماء: "هَذَا هُوَ ابني الْحَبِيبُ الَّذِي **بِهِ سُرِرْتُ**" (مت3: 17، انظر مر1: 11).

وعن ميلاد الرب يسوع المخلّص سبّحت الملائكة قائلة: "الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الأَعَالِي وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ وَبِالنَّاسِ **الْمَسَرَّةُ**" (لو2: 14).

أى أن مجيء السيد المسيح قد حقق المسرة للآب السماوى وكذلك قد جلب المسرّة للبشر الذين آمنوا به وقَبِلوه.

وقد وردت أيضًا عبارة: "أَمَّا الرَّبُّ **فَسُرَّ** بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحُزْنِ" (إش53: 10) وذلك فى نفس الآية من سفر إشعياء. فهل سُرَّ الآب فقط بأن يسحقه بالحزن فى جثسيمانى، وفى القبض عليه مع خيانة يهوذا، وفى المحاكمة أمام مجمع اليهود، وفى سجنه، وفى محاكمته أمام الحاكم الرومانى، وفى جلده، وفى حمله الصليب، وفى آلامه على الصليب، وفى ذوقه الموت لأجل كل واحد؟!!

**لقد سُرَّ الرب أيضًا** بنزوله إلى الجحيم وتحريره لأرواح القديسين المسبيين الذين رقدوا على الرجاء، وفى فتحه للفردوس وإدخاله لهذه الأرواح هناك، وفى انتصاره الساحق على الموت وقيامته المجيدة من الأموات، وفى ظهوراته المفرحة لتلاميذه بعد القيامة، وفى صعوده الانتصارى إلى أعلى السماوات حيث دخل ملك المجد وجلس عن يمين الآب، وفى فرح السمائيين به وبخلاصه للبشرية وإعلان حب الله الآب للخليقة بصورة جردت الشياطين من دعاويهم الباطلة ضد الله. لدرجة أن تسابيح السمائيين قد تطورت من شكر الآب على خلقه للعالم إلى شكره على إرساله لابنه الوحيد الجنس فاديًا ومخلّصًا. وكأن "**سر الشكر**" الذى نمارسه نحن فى القداس الإلهى هو تجسيد لحالة "**الشكر**" التى يترنم بها السمائيون فى وجود الحمل القائم كأنه مذبوح وهو مستحق لكل المجد والكرامة والتسبيح مع أبيه الصالح والروح القدس.

هذا ما عبّر عنه القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات فى قداسه العظيم عن تسابيح الشاروبيم والسرافيم أمام العرش الإلهى {**يرسلون تسبيح الغلبة والخلاص الذى لنا**}. إذن فهم يترنمون بترانيم الخلاص. إنها سيمفونية الحب الإلهى ترددها الخليقة إلى أبد الدهور.

بيده تنجح

يقول الكتاب "**يمين الرب صنعت قوة**" (مز117: 15). وقيل عن السيد المسيح إنه هو "**قُوَّةِ اللهِ**" (1كو1: 24). وقيل عنه أيضًا إنه "جَلَسَ فِي **يَمِينِ الْعَظَمَةِ** فِي الأَعَالِي" (عب1: 3). واليمين هنا إشارة إلى موضع القوة والتقدير والإكرام.

إن عبارة "مَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ" (إش 53: 10) تشير أيضًا إلى أن يد السيد المسيح قد حققت ما أراد الرب أن يصنعه بيمينه وذراعه القوية.

عندما لمس السيد المسيح الأبرص بيده للوقت طهر برصه (انظر مت8: 1-4)، وعندما لمس نعش الشاب ابن أرملة نايين الوحيد لأمه وناداه قام الشاب من الموت ودفعه إلى أمه الحزينة (انظر لو7: 11- 17). وعندما طلى عينى المولود أعمى بيده بالطين وأمره أن يغتسل فى بركة سلوام، أتى المولود أعمى بصيرًا. وعند مد يده الطاهرة على خشبة الصليب وسمّرها الجنود، مزّق صك خطايانا وسمّر خطايا البشرية بالصليب. لذلك نصلى ونقول فى قطع صلاة الساعة السادسة {صنعت خلاصًا فى وسط الأرض كلها أيها المسيح إلهنا **عندما بسطت يديك الطاهرتين** على عود الصليب}.

بيده الطاهرة بارك السيد المسيح الخمس خبزات والسمكتين وأشبع الجموع. وبيده الطاهرة بارك الخبز والخمر فى ليلة آلامه وحوّلهما إلى جسده ودمه الأقدسين وأعطاهما لتلاميذه صانعًا عهدًا جديدًا فى كأس الإفخارستيا.

وحتى بعد قيامته من الأموات كشف آثار الجراحات فى يديه لإثبات حقيقة القيامة ثم قال لتوما فى الأحد التالى: "هَاتِ إِصْبِعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي" (يو20: 27) ليؤكّد له أنه قد قام حقًا. وعندما ظهر لتلميذى عمواس فى يوم قيامته عرفاه عندما بارك الخبز فى المنزل. وعند صعوده إلى السماء رفع يديه وبارك التلاميذ "وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمُ انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأُصْعِدَ إِلَى السَّمَاءِ" (لو24: 51)

كم من الأمور صنعتها يد السيد المسيح؟ كم من الخير؟ كم من المعجزات؟ كم من العطاء؟ كم من أعمال الشفاء؟ كم من علامات الحنان والرفق بالأطفال؟ كم من البركات الإلهية؟

كانت يد السيد المسيح تمتد بالخير للجميع، وتدعو الجميع إلى التوبة والخلاص كقول الكتاب "الْتَفِتُوا إِلَيَّ وَاخْلُصُوا يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الأَرْضِ" (إش45: 22).

فما أجمل هذه العبارة التى تغنّى بها إشعياء النبى: "**وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ" (إش53: 10).**

حقًا لقد نجحت جميع المقاصد الإلهية بما فعله السيد المسيح وفرح قلب الآب وامتلأ سرورًا بكل ما فعله ابنه الوحيد الجنس الحبيب.

مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ

"**مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ** وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ" (إش53: 12) لقد رأينا كيف وعد الآب السماوى بأن تكون ثمار ذبيحة الصليب مفرّحة للأعزاء وغنية جدًا، والآن سنرى أن الآب يقدّر لابنه الوحيد الجنس أنه "**سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ** وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ".

## السَكيب والانسكاب

عبارة "**سَكَبَ** لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ" توضّح أن السيد المسيح لم يقبل الموت فقط، ولكنه بذل نفسه مثل الطيب **المنسكب** والخمر **المنسكب** "لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ لِلَّهِ، فِي الَّذِينَ يَخْلُصُونَ.. **رَائِحَةُ حَيَاةٍ** لِحَيَاةٍ" (2كو2: 15، 16). **وهذا الانسكاب يدل على الطاعة والانسحاق أمام الآب السماوى من جهة، ويدل على تكريس الذات لخلاص البشرية من ناحية أخرى.**

وقد اقتبس القديس بولس الرسول هذا المفهوم فى حديثه مع مخدوميه فقال: "**أَنْسَكِبُ** أَيْضًا عَلَى ذَبِيحَةِ إِيمَانِكُمْ" (فى2: 17). وعند انتقاله من هذا العالم قال: "أنَا الآنَ أسْكَبُ سَكِيبًا، وَوَقْتُ انْحِلاَلِي قَدْ حَضَرَ" (2تى4: 6).

**فالانسكاب** فى الصلاة، **والانسكاب** فى الخدمة، **والانسكاب** فى التضحية مقتبسة من **سكيب الخمر** الذى كان الكاهن **يسكبه** على ذبيحة المحرقة أو ذبيحة السلامة (انظرعد6: 17)، الموضوعة على المذبح قبل أن تتقد فيها النار.

وقد ورد ذلك فى أسفار التوراة كقول الرب لموسى النبى: "وَهَذَا مَا تُقَدِّمُهُ عَلَى الْمَذْبَحِ: خَرُوفَانِ حَوْلِيَّانِ كُلَّ يَوْمٍ دَائِمًا. الْخَرُوفُ الْوَاحِدُ تُقَدِّمُهُ صَبَاحًا وَالْخَرُوفُ الثَّانِي تُقَدِّمُهُ فِي الْعَشِيَّةِ. وَعُشْرٌ مِنْ دَقِيقٍ مَلْتُوتٍ بِرُبْعِ الْهِينِ مِنْ زَيْتِ الرَّضِّ **وَسَكِيبٌ رُبْعُ الْهِينِ مِنَ الْخَمْرِ لِلْخَرُوفِ الْوَاحِدِ**. وَالْخَرُوفُ الثَّانِي تُقَدِّمُهُ فِي الْعَشِيَّةِ. مِثْلَ تَقْدِمَةِ الصَّبَاحِ **وَسَكِيبِه**ِ تَصْنَعُ لَهُ. **رَائِحَةُ سُرُورٍ وَقُودٌ لِلرَّبِّ**. **مُحْرَقَةٌ دَائِمَةٌ** فِي أَجْيَالِكُمْ عِنْدَ بَابِ خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ أَمَامَ الرَّبِّ. حَيْثُ أَجْتَمِعُ بِكُمْ لأُكَلِّمَكَ هُنَاكَ. وَأَجْتَمِعُ هُنَاكَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَيُقَدَّسُ بِمَجْدِي" (خر29: 38-43).

وأيضًا "وَقَال الرَّبُّ لِمُوسَى: قُل لِبَنِي إِسْرَائِيل: مَتَى جِئْتُمْ إِلى أَرْضِ مَسْكَنِكُمُ التِي أَنَا أُعْطِيكُمْ. وَعَمِلتُمْ وَقُودًا لِلرَّبِّ **مُحْرَقَةً أَوْ ذَبِيحَةً وَفَاءً لِنَذْرٍ** أَوْ نَافِلةً أَوْ فِي أَعْيَادِكُمْ لِعَمَلِ **رَائِحَةِ سُرُورٍ لِلرَّبِّ** مِنَ البَقَرِ أَوْ مِنَ الغَنَمِ. يُقَرِّبُ الذِي قَرَّبَ قُرْبَانَهُ لِلرَّبِّ تَقْدِمَةً مِنْ دَقِيقٍ عُشْرًا مَلتُوتًا بِرُبْعِ الهِينِ مِنَ الزَّيْتِ. **وَخَمْرًا لِلسَّكِيبِ** رُبْعَ الهِينِ. تَعْمَلُ عَلى **المُحْرَقَةِ أَوِ الذَّبِيحَةِ** لِلخَرُوفِ الوَاحِدِ. لكِنْ لِلكَبْشِ تَعْمَلُ تَقْدِمَةً مِنْ دَقِيقٍ عُشْرَيْنِ مَلتُوتَيْنِ بِثُلثِ الهِينِ مِنَ الزَّيْتِ. **وَخَمْرًا لِلسَّكِيبِ** ثُلثَ الهِينِ تُقَرِّبُ **لِرَائِحَةِ سَرُورٍ لِلرَّبِّ**" (عدد15: 1-7).

وقد وبخ الرب شعب إسرائيل على سكائبهم لعبادة الأصنام عندما زاغوا عن عبادته: "وَيْلٌ لِلْبَنِينَ الْمُتَمَرِّدِينَ يَقُولُ الرَّبُّ حَتَّى أَنَّهُمْ يُجْرُونَ رَأْيًا وَلَيْسَ مِنِّي، **وَيَسْكُبُونَ سَكِيبًا** وَلَيْسَ بِرُوحِي لِيَزِيدُوا خَطِيئَةً عَلَى خَطِيئَةٍ" (إش30: 1). وأيضًا "أَمَا أَنْتُمْ أَوْلاَدُ الْمَعْصِيَةِ نَسْلُ الْكَذِبِ؟ الْمُتَوَقِّدُونَ إِلَى **الأَصْنَام**ِ تَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ الْقَاتِلُونَ الأَوْلاَدَ فِي الأَوْدِيَةِ تَحْتَ شُقُوقِ الْمَعَاقِلِ. فِي حِجَارَةِ الْوَادِي الْمُلْسِ نَصِيبُكِ. تِلْكَ هِيَ قُرْعَتُكِ. لِتِلْكَ **سَكَبْتِ سَكِيبًا** وَأَصْعَدْتِ تَقْدِمَةً. أَعَنْ هَذِهِ أَتَعَزَّى؟ عَلَى جَبَلٍ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ وَضَعْتِ مَضْجَعَكِ وَإِلَى هُنَاكَ صَعِدْتِ لِتَذْبَحِي ذَبِيحَةً" (إش57: 4-7).

إذن **فسكب الخمر** مع تقدمة الذبيحة كان أمرًا يمارس فى تقديم الذبائح للإله الحقيقى فى شريعة موسى. كما استخدمه البنون العصاة أيضًا فى تقديم الذبائح للأوثان.

وبالنسبة لتقديم ذبيحة المحرقة أو السلامة للرب مع **سكيب الخمر** فإن هذا يوضح لنا العلاقة بين ذبيحة الإفخارستيا وذبيحة الصليب. فإن **الخمر** فى الإفخارستيا هو دم السيد المسيح الذى قال عنه: "هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا" (مت26: 28).

إن موت السيد المسيح على الصليب كان ممتلئًا بالحب وعن ذلك تتغنى عروس النشيد بقولها: "أَدْخَلَنِي إِلَى بَيْتِ الْخَمْرِ وَعَلَمُهُ فَوْقِي مَحَبَّةٌ" (نش2: 4).

وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ

أما عبارة: "**وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ**" (إش53: 12) فهى نبوة واضحة عن صلب السيد المسيح فى وسط لصّين محكوم عليهما بالإعدام فى جرائم تستحق الموت فعلاً (انظر لو23: 41).

ويختم النبى إشعياء هذا الفصل عن صلب السيد المسيح (أى الإصحاح 53) بالعبارة الأساسية فيه "**وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ**"، وهى تلخّص كل عمل السيد المسيح الفدائى كحامل لخطايا العالم، وكشفيع أمام الآب لتبرير الخطاة الذين يقبلون شفاعته الكفارية عنهم ويسلكون فى التوبة للحياة الأبدية حافظين وصاياه المحيية.

الباب الثامن

نبوات عن القيامة والصعود

قيامة السيد المسيح

قبل أن يبدأ السفر فى سرد آلام السيد المسيح فى الإصحاح 53 تكلم أولاً عن قيامته لكى لا يطغى الحزن على الكنيسة، مثلما وعد السيد المسيح تلاميذه أنه فى اليوم الثالث يقوم، حتى أن هذا الخبر قد وصل لليهود وقالوا لبيلاطس بعد صلب المخلص: "يَا سَيِّدُ قَدْ تَذَكَّرْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْمُضِلَّ قَالَ وَهُوَ حَيٌّ: إِنِّي بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَقُومُ" (مت27: 63).

إذن لقد أعلن السيد المسيح عن قيامته فى اليوم الثالث قبل صلبه وهكذا أيضًا أوضح فى سفر إشعياء كما يلى:

"اِسْتَيْقِظِي اسْتَيْقِظِي! الْبِسِي عِزَّكِ يَا صِهْيَوْنُ! الْبِسِي ثِيَابَ جَمَالِكِ يَا أُورُشَلِيمُ الْمَدِينَةُ الْمُقَدَّسَةُ.. فَإِنَّهُ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: مَجَّانًا بُعْتُمْ وَبِلاَ فِضَّةٍ تُفَكُّونَ.. **لِذَلِكَ يَعْرِفُ شَعْبِيَ اسمي.** لِذَلِكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَعْرِفُونَ **أَنِّي أَنَا هُوَ الْمُتَكَلِّمُ**. هاأنذا **مَا أَجْمَلَ عَلَى الْجِبَالِ قَدَمَيِ الْمُبَشِّرِ الْمُخْبِرِ بِالسَّلاَمِ الْمُبَشِّرِ بِالْخَيْرِ** الْمُخْبِرِ بِالْخَلاَصِ الْقَائِلِ لِصِهْيَوْنَ: قَدْ مَلَكَ إِلَهُكِ! صَوْتُ مُرَاقِبِيكِ. يَرْفَعُونَ صَوْتَهُمْ. يَتَرَنَّمُونَ مَعًا **لأَنَّهُمْ يُبْصِرُونَ عَيْنًا لِعَيْنٍ عَُِنْدَ رُجُوعِ الرَّبِّ إِلَى صِهْيَوْنَ.** أَشِيدِي تَرَنَّمِي مَعًا يَا خِرَبَ أُورُشَلِيمَ لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ عَزَّى شَعْبَهُ. فَدَى أُورُشَلِيمَ. قَدْ شَمَّرَ الرَّبُّ عَنْ ذِرَاعِ قُدْسِهِ أَمَامَ عُيُونِ كُلِّ الأُمَمِ فَتَرَى كُلُّ أَطْرَافِ الأَرْضِ خَلاَصَ إِلَهِنَا. (إش52: 1، 6–10) .

حسب هذا النص من إشعياء؛ إن الكنيسة لم تلبس ثياب جمالها إلا بعد قيامة السيد المسيح. وتمتعت بخلاص مجانى. لأن السيد الرب هو الذى أوفى الدين بدم صليبه. وتقبّل الآب ذبيحة الابن الوحيد الجنس وأقامه من الأموات ناقضًا أوجاع الموت.

ويقول السيد المسيح فى نفس النص إن شعبه سوف يعرف معنى اسمه بعد القيامة (يهوشع = يهوه خلّص). لذلك طلب الملاك جبرائيل من العذراء القديسة مريم أن تسمّيه باسم "يسوع" (لو1: 31). فاسم يسوع (يهوشع) معناه أن الرب الإله قد صنع الخلاص.

وقد أشار السيد المسيح إلى هذه الحقيقة حينما قال لليهود: "مَتَى رَفَعْتُمُ ابن الإِنْسَانِ فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ **أَنِّي أَنَا هُوَ**" (يو8: 28). لذلك قال فى إشعياء: "فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَعْرِفُونَ **أَنِّي أَنَا هُوَ** الْمُتَكَلِّمُ. هاأنذا" (إش52: 6).

وعبارة "أنا هو" فى اللغة العبرية هى "hy<h.a, أهيه". لذلك قال الرب لموسى النبى عندما سأله موسى عن اسمه الخصوصى: "**أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ" بمعنى "أنا هو الذى أنا هو"** (خر3: 14). وفى اللغة العبرية تأتّى " hy<h.a, أ**َهْيَهِ**" فى صيغة المتكلم بمعنى "**أنا أكون،** و" hw"hy>**يَهْوَهْ"** فى صيغة الغائب بمعنى "**هو يكون**".

مَا أَجْمَلَ عَلَى الْجِبَالِ قَدَمَيِ الْمُبَشِّرِ.. الْمُخْبِرِ بِالْخَلاَصِ

عندما قام السيد المسيح كان ذلك بجوار جبل الجلجثة الذى صلب عليه، إذ كان البستان قريبًا من موضع الصلب. وكل ذلك على جبل صهيون بجوار أورشليم. حيث إن أورشليم مبنية على جبل، وبجوارها أيضًا جبل الصعود. لذلك ففى ترانيم المصاعد يقول المرنم: "رفَعتُ عَيْنَيَّ إِلَى الْجِبَالِ مِنْ حَيْثُ يَأْتِي عَوْنِي" (مز120: 1).

فعن قيامة الرب يقول إشعياء النبى: "**مَا أَجْمَلَ عَلَى الْجِبَالِ قَدَمَيِ الْمُبَشِّرِ الْمُخْبِرِ بِالسَّلاَمِ الْمُبَشِّرِ بِالْخَيْرِ الْمُخْبِرِ بِالْخَلاَصِ" (إش52: 7).**

ذهبت المريمتان باكرًا جدًا فى فجر الأحد أى فى أول الأسبوع وبشّرهما الملاك بقيامة المخلص، وأمرهما أن تذهبا إلى تلاميذه وتخبرانهم بأن الرب قد قام، فعند عودتهما لاقاهما السيد المسيح وقال لهما: "سَلاَمٌ لَكُمَا فَتَقَدَّمَتَا وَأَمْسَكَتَا **بِقَدَمَيْهِ** وَسَجَدَتَا لَهُ" (مت28: 9).

وقد تكلّم معهما السيد المسيح وقال لهما: "لاَ تَخَافَا. اذْهَبَا قُولاَ لإِخْوَتِي أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْجَلِيلِ وَهُنَاكَ يَرَوْنَنِي" (مت28: 10).

إذن فالسيد المسيح هو المقصود بعبارة "مَا أَجْمَلَ عَلَى الْجِبَالِ **قَدَمَيِ** الْمُبَشِّرِ الْمُخْبِرِ بِالسَّلاَمِ الْمُبَشِّرِ بِالْخَيْرِ الْمُخْبِرِ بِالْخَلاَصِ الْقَائِلِ لِصِهْيَوْنَ: قَدْ مَلَكَ إِلَهُكِ" (إش52: 7). لأن **قدمى** المبشر على الجبل كانتا **قدمى** السيد المسيح اللتين أمسكتا بهما المريمتان وسجدتا له وأمرهما أن يخبرا تلاميذه ببشرى القيامة.

بعد ذلك ظهر السيد المسيح للتلاميذ فى عُلّية صهيون وهم مجتمعين والأبواب مغلّقة لسبب الخوف من اليهود، وبالرغم من أن المريمات قد أخبروهم بقيامة الرب. ولكن التلاميذ قد فرحوا عندما أبصروه "**عينًا لعين**" عندما عاد ودخل إلى المدينة المقدسة أورشليم بعد قيامته وظهر لهم. وكانوا هم يترقبون هذا الظهور. لذلك قال إشعياء النبى: "صَوْتُ مُرَاقِبِيكِ. يَرْفَعُونَ صَوْتَهُمْ. يَتَرَنَّمُونَ مَعًا **لأَنَّهُمْ يُبْصِرُونَ عَيْنًا لِعَيْنٍ عَُِنْدَ رُجُوعِ الرَّبِّ إِلَى صِهْيَوْنَ**" (إش52: 8). فعبارة "صَوْتُ مُرَاقِبِيكِ. يَرْفَعُونَ صَوْتَهُمْ" تعنى الآباء الرسل حينما فرحوا بظهور السيد المسيح لهم بعد القيامة، وأراهم يديه وجنبه وفيهم آثار المسامير والطعنة بالحربة. فرفعوا أصواتهم وترنموا معًا بقلوبهم وأفواههم بعد أن أبصروه **عينًا لعين** وقال عنه يوحنا الرسول: "الَّذِي **رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا**" (1يو1: 1).

الرَّبَّ قَدْ عَزَّى شَعْبَهُ. فَدَى أُورُشَلِيمَ

ختم إشعياء الفقرة الرائعة، التى تكلم فيها عن قيامة السيد المسيح بقوله: "أَشِيدِي تَرَنَّمِي مَعًا يَا خِرَبَ أُورُشَلِيمَ لأَنَّ **الرَّبَّ قَدْ عَزَّى شَعْبَهُ. فَدَى أُورُشَلِيمَ**. قَدْ شَمَّرَ الرَّبُّ عَنْ ذِرَاعِ قُدْسِهِ أَمَامَ عُيُونِ كُلِّ الأُمَمِ فَتَرَى كُلُّ أَطْرَافِ الأَرْضِ خَلاَصَ إِلَهِنَا" (إش52: 9، 10).

ألم يتحقق قول الرب كما هو مكتوب **"**سَأَرْجِعُ بَعْدَ هَذَا وَأَبْنِي أَيْضًا خَيْمَةَ دَاوُدَ السَّاقِطَةَ، وَأَبْنِي أَيْضًا رَدْمَهَا وَأُقِيمُهَا ثَانِيَةً. لِكَيْ يَطْلُبَ الْبَاقُونَ مِنَ النَّاسِ الرَّبَّ وَجَمِيعُ الأُمَمَ الَّذِينَ دُعِيَ اسمي عَلَيْهِمْ يَقُولُ الرَّبُّ الصَّانِعُ هَذَا كُلَّهُ" (أع 15: 16، 17 ـ انظر عا 9: 11، 12).

**إن الخلاص قد أعاد خلقة البشرية الخربة من جديد**؛ بالفداء لكل من يؤمن ويعتمد ويصير من شعب الله فى العهد الجديد.

ولم يقتصر الخلاص على أورشليم وحدها، بل لقد شمل اليهودية والسامرة وأقصى الأرض، كما أوصى السيد المسيح. لذلك يقول المزمور عن انتشار البشارة بالإنجيل إلى جميع الأمم بواسطة الآباء الرسل "فِي كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَإِلَى أَقْطار الْمَسْكُونَةِ بَلَغَتْ أقوالهمْ. جَعَلَ فى الشَّمْسِ مَظلته" (مز18: 4). وقد رأت كل أطراف الأرض خلاص إلهنا من مشارق الشمس إلى مغاربها ومن الشمال إلى الجنوب.

يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ

طبعًا من الواضح أن هذه النبوة تخص قيامة السيد المسيح. لأنه كيف "**يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ**" (إش53: 10) بعد أن قيل عنه فى نفس النبوة "وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ" (إش53: 9). وكذلك أنه "قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ" (إش53: 8)؟!

**كيف يرى نسلاً تطول أيامه بعد موته إلا إذا قام من الأموات وبقى حيًا إلى الأبد ليرى أولاد الله المولودين من الماء والروح بالمعمودية نسلاً روحياً يمتد عبر الأجيال، بل وإلى أبد الدهور لوارثى الملكوت**؟

قال السيد المسيح لتلاميذه الرسل القديسين: "أَنَا اخْتَرْتُكُمْ وَأَقَمْتُكُمْ لِتَذْهَبُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ **وَيَدُومَ ثَمَرُكُمْ**" (يو15: 16)، إذن فالنسل المقصود سوف تطول أيامه "يَدُومَ ثَمَرُكُمْ".

"**يَرَى نَسْلاً**" تعنى رؤية السيد المسيح لأبنائه الروحيين وهم يفرحون ويتهللون بقيامته، وقد عاين القيامة "أكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَخٍ" (1كو15: 5) كان أغلبهم ما يزال حيًا إلى وقت كتابة بولس الرسول لرسالته الأولى إلى أهل كورنثوس. وقد ورد فى الإنجيل "فَفَرِحَ التّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ" (يو20: 20). وحتى عندما اختار الرسل بالقرعة أحد التلاميذ ليحل محل يهوذا الإسخريوطى الذى شنق نفسه قالوا: "َيَنْبَغِي أَنَّ الرِّجَالَ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا مَعَنَا كُلَّ الزَّمَانِ الَّذِي فِيهِ دَخَلَ إِلَيْنَا الرَّبُّ يَسُوعُ وَخَرَجَ..يَصِيرُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ شَاهِدًا مَعَنَا بِقِيَامَتِهِ" (أع1: 21، 22). إذن فالرسل الاثنى عشر فى تكوينهم النهائى كانوا جميعًا من شهود القيامة.

النسل الروحى

ليس كل نسل مذكور فى الكتاب المقدس هو نسل جسدى لأن بولس الرسول يقول: "لأَنْ لَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ مِنْ إِسْرَائِيلَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ. وَلاَ لأَنَّهُمْ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ هُمْ جَمِيعًا أَوْلاَدٌ. بَلْ بِإِسْحَقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. **أَىْ لَيْسَ أَوْلاَدُ الْجَسَدِ هُمْ أَوْلاَدَ اللهِ بَلْ أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ يُحْسَبُونَ نَسْلاً**" (رو9: 6-8). إذن فليس أولاد الجسد هم أولاد الله.

وعلى هذا القياس فإن أولاد الموعد المولودين من الله هم هذا النسل المقصود الذى يراه السيد المسيح. والسيد المسيح نفسه قال: "الْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ" (يو3: 6). أى أن الإنسان المولود من الجسد يعيش ويسلك حسب الجسد، أما المولود من الروح فإنه يعيش ويسلك حسب الروح حتى وهو فى الجسد سواء فى هذا الزمان الحاضر أو بعد القيامة بجسد ممجّد فى الحياة الأبدية.

إن عبارة "**يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ**" تذكّرنا ببشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم عن السيد المسيح الذى يولد منها "**وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ. وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ**" (لو1: 32، 33). إذن فالسيد المسيح هو ابن لداود وهو ملك إسرائيل أو ملك اليهود، وملكه إلى الأبد ولا نهاية له.

لقد ملك الرب على خشبة الصليب وظل وسيظل يملك إلى الأبد كبشارة الملاك للعذراء.

المسيح الملك ابن داود

فى الإصحاح الحادى عشر تنبأ إشعياء النبى عن السيد المسيح كابن لداود بن يسى باعتبار أن الرب قد وعد داود النبى بأن من أبنائه من يجلس على كرسى ملكه إلى الأبد "إِنْ حَفِظَ بَنُوكَ عَهْدِي وَشَهَادَاتِي الَّتِي أُعَلِّمُهُمْ إِيَّاهَا **فَبَنُوهُمْ إِلَى الأَبَدِ يَجْلِسُونَ عَلَى كُرْسِيِّكَ**" (مز131: 12).

كان داود هو ابن يسى كما ورد مثلاً فى سفر راعوث "وَبُوعَزُ وَلَدَ عُوبِيدَ وَعُوبِيدُ وَلَدَ يَسَّى، **وَيَسَّى وَلَدَ دَاوُدَ**" (را 4: 18-22). وقد ولد بوعز عوبيد عند زواجه من راعوث.

تقول نبوة إشعياء "**وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ. وَيَحِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ.. وَيَكُونُ الْبِرُّ مِنْطَقَةَ مَتْنَيْهِ وَالأَمَانَةُ مِنْطَقَةَ حَقَوَيْهِ**" (إش11: 1، 2، 5).

لقد قاسى إشعياء النبى وغيره من الأنبياء من اضطهاد ملوك يهوذا الذين كانوا أيضًا من نسل داود مثل آحاز الملك ومنسى الملك. ولهذا فإن كلمات هذه النبوة تعتبر تعزية لإشعياء النبى فى وسط جو قاتم ممتلئ بالأحزان على ملوك يهوذا من نسل داود بن يسى.

ولكن النبوة لا تشير إلى ملك عادى من ملوك يهوذا، لأنه إلى جوار ما ذكر فى الفقرة السابقة عن هذا الملك البار الذى يحل عليه روح الرب، فإن هناك أمورًا تفوق الخيال وتتخطى إمكانيات البشر العاديين قد ذكرت عنه إذ يكمل النبى كلامه فيقول:

* "**فَيَسْكُنُ الذِّئْبُ مَعَ الْخَرُوفِ** وَيَرْبُضُ النَّمِرُ مَعَ الْجَدْيِ وَالْعِجْلُ وَالشِّبْلُ وَالْمُسَمَّنُ مَعًا وَصَبِيٌّ صَغِيرٌ يَسُوقُهَا. وَالْبَقَرَةُ وَالدُّبَّةُ تَرْعَيَانِ. تَرْبُضُ أَوْلاَدُهُمَا مَعًا **وَالأَسَدُ كَالْبَقَرِ يَأْكُلُ تِبْنًا**. وَيَلْعَبُ الرَّضِيعُ عَلَى سَرَبِ الصِّلِّ وَيَمُدُّ الْفَطِيمُ يَدَهُ عَلَى جُحْرِ الأُفْعُوانِ. لاَ يَسُوؤُونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي **لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ. وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَصْلَ يَسَّى الْقَائِمَ رَايَةً لِلشُّعُوبِ إِيَّاهُ تَطْلُبُ الأُمَمُ وَيَكُونُ مَحَلُّهُ مَجْدًا**" (إش11: 6-10).

لقد وعد السيد المسيح تلاميذه قبل صعوده إلى السماوات قائلاً: "وَهَذِهِ الآيَاتُ تَتْبَعُ الْمُؤْمِنِينَ: يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسمي وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ جَدِيدَةٍ. **يَحْمِلُونَ حَيَّاتٍ وَإِنْ شَرِبُوا شَيْئًا مُمِيتًا** **لاَ يَضُرُّهُمْ** وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَبْرَأُونَ" (مر16: 17، 18).

لقد تحققت نبوة إشعياء فى العهد الجديد حينما صار اليهود والأمم الذين آمنوا بالمسيح أعضاءً فى جسد المسيح الواحد وهو الكنيسة. زالت العداوة بينهما وسكن الذئب (الأمم) مع الخروف (اليهود المؤمنين)، وصار الأسد كالبقر يأكل تبنًا حينما قبل الأمميون الذين كانوا يأكلون اللحم بشراهة، ويتصرفون بوحشية، أن يصوموا ويأكلوا طعامًا نباتيًا من الخضروات والبقول وغيرها بعدما آمنوا بالمسيح وسلكوا فى طريق الزهد فى شهوات العالم.

وقد أوضح القديس بولس الرسول فى رسالته إلى أهل أفسس كيف صالح السيد المسيح اليهود (أهل الختان) مع الأمم مبطلاً العداوة بينهما بدخولهما إلى حظيرة الإيمان الواحد بالمسيح فقال: "لِذَلِكَ اذْكُرُوا أَنَّكُمْ أَنْتُمُ الأُمَمُ قَبْلاً فِي الْجَسَدِ، الْمَدْعُوِّينَ غُرْلَةً مِنَ الْمَدْعُوِّ خِتَانًا مَصْنُوعًا بِالْيَدِ فِي الْجَسَدِ، أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِدُونِ مَسِيحٍ، أَجْنَبِيِّينَ عَنْ رَعَوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ، وَغُرَبَاءَ عَنْ عُهُودِ الْمَوْعِدِ، لاَ رَجَاءَ لَكُمْ وَبِلاَ إِلَهٍ فِي الْعَالَمِ. وَلَكِنِ الآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً بَعِيدِينَ صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ. لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاثنيْنِ وَاحِدًا، **وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ، أَيِ الْعَدَاوَةَ**. مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الاثنيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلاَمًا، **وَيُصَالِحَ الاثنيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلاً الْعَدَاوَةَ بِهِ"** (أف2: 11-16). وهكذا رأينا كيف يمكن أن يرعى الذئب مع الخروف.

* وهناك أيضًا ما يثبت أن نبوة إشعياء لا تنطبق على أى ملك عادى من نسل داود بن يسى عندما أشار إلى أن **معرفة الرب إله إسرائيل سوف تملأ الأرض كلها، كما تغطى المياه البحر**.

فالعبادة اليهودية كانت منحصرة فى نطاق الشعب اليهودى ولم تكن لها قوة الكرازة والانتشار فى كل العالم كما حدث فى بشارة الإنجيل التى أوصى بها السيد المسيح تلاميذه قائلاً: "**اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا. مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ**" (مر16: 15).

إن صلب المسيح قد صالح البشر مع الله بالإيمان والمعمودية، وصالح الإنسان اليهودى مع الإنسان الأممى فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به. لذلك أمكن أن يكون راية للشعوب تتطلع إليه كل شعوب الأرض "**وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَصْلَ يَسَّى الْقَائِمَ** رَايَةً لِلشُّعُوبِ إِيَّاهُ تَطْلُبُ الأُمَمُ وَيَكُونُ مَحَلُّهُ مَجْدًا" (إش11: 10).

نبوة دانيال النبى والمُلك الأبدى

كذلك نتذكر نبوة دانيال النبى الذى قال: "كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ **مِثْلُ ابن إِنْسَانٍ** أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. **سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ**" (دا 7: 13، 14).

لقد فهمت العذراء القديسة مريم بشارة الملاك لها فى ضوء هذه النبوة الواضحة عن **مُلك السيد المسيح الأبدى**. فالنبوة تقول إنه **مثل ابن إنسان** ولا ينطبق هذا الكلام إلا على من يولد من امرأة ليحمل لقب ابن الإنسان. لذلك وُلد السيد المسيح فى تجسده من العذراء مريم بفعل الروح القدس.

أما عن عبارة أنه "أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ" فى هذه النبوة؛ فتشير إلى صعود السيد المسيح إلى السماء "لِيَظْهَرَ الآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللهِ لأَجْلِنَا" (عب9: 24). ولكى يجلس عن يمين العظمة فى الأعالى. وهذا ما قاله معلمنا بولس الرسول عن السيد المسيح إنه "بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي. صَائِرًا أَعْظَمَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ بِمِقْدَارِ مَا وَرِثَ اسمًا أَفْضَلَ مِنْهُمْ" (عب1: 3، 4). وقال أيضًا إن السيد المسيح "إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ مساواته لله اختلاسًا، لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذَلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسمًا فَوْقَ كُلِّ اسم. لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسم يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ. وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ" (فى2: 6-11). وهذا ما عبّر عنه دانيال النبى بقوله: "**فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ**" (دا 7: 14).

وكيف لا والمسيح هو كلمة الله المولود من الآب قبل كل الدهور بحسب لاهوته والمولود من العذراء مريم فى ملء الزمان بحسب ناسوته. ومَن يستطيع أن يفصل الله الآب عن كلمته أو أن يفصله عن روحه القدوس؛ فالآب وكلمته وروحه إله واحد بلاهوت واحد؛ نسجد له ونمجده إلى الأبد آمين.

مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ

ليس المقصود حديثًا عموميًا عن أى شخص لأن عبارة "مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ" (إش53: 11) حسب التشكيل الموجود على الكلمات هى "**مِنْ**" بكسر الميم و"**تَعَبِ**" بكسر الباء. أى أن الحديث عن شخص السيد المسيح أنه مِنْ تعبه الخاص سوف يرى ويشبع.

**إن مَنْ يزرع بالشح، فبالشح أيضًا يحصد. ومَنْ يزرع بالخيرات والبركات، فبالخيرات والبركات أيضًا يحصد.**

**من يزرع محبة يحصد محبة، ومن يزرع خصومة يحصد خصومة.**

**من يزرع غفرانًا يحصد غفرانًا، ومن يزرع انتقامًا يحصد انتقامًا.**

**من يزرع سلامًا يحصد سلامًا، ومن يزرع عنفًا يحصد عنفًا.**

**من يزرع قداسة يحصد قداسة، ومن يزرع نجاسة يحصد نجاسة.**

**من يزرع حكمة يحصد حكمة، ومن يزرع حماقة يحصد حماقة.**

**من يزرع وفاءً يحصد وفاءً، ومن يزرع خيانة يحصد خيانة.**

إن الآب السماوى أراد أن يُبرز تقديره لما تعب به السيد المسيح فى آلامه فى ليلة صلبه فى البستان، وعند تسليمه والقبض عليه، وعند محاكمته والحكم عليه فى مجمع اليهود وأمام بيلاطس الوالى الرومانى، وفى جلده بالجلد الرومانى القاسى، وفى استهزاء الجنود به ولطمهم إياه، وفى حمله للصليب نحو الجلجثة، وفى صلبه وآلامه على الصليب والسخرية منه والاستهزاء به، وقبل ذلك فى تعريته من ملابسه عند الجلد وعند الصليب، وفى شربه الخل عندما كان عطشانًا، وفى نزيفه الدمَوى الحاد الذى أدى إلى هبوط شديد فى عضلة القلب، وفى ذوقه الموت بنعمة الله لأجل كل واحد. كل ذلك احتمله وهو برئ فاحتمل ظلم الأشرار، والبصق على وجهه المشرق بالنعمة، والاستخفاف بكل ما فعله من خير. واحتمل خيانة أحد تلاميذه المقربين الذى "كَانَ الصُّنْدُوقُ عِنْدَهُ وَكَانَ يَحْمِلُ مَا يُلْقَى فِيهِ" (يو12: 6).

لذلك قال الآب فى سفر إشعياء عن الابن المتجسد: **"مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ" (إش53: 11)**. أى أن آلام السيد المسيح سوف تكون سببًا فى خلاص البشرية وفى تجديد حياة كثير من البشر ليصيروا قديسين يشبع السيد المسيح من محبتهم الفائقة التى بادلوه فيها حُبًا بحب. مثل العذراء القديسة الطاهرة مريم والرسل والشهداء والمعترفين والمبشرين وأبطال الإيمان وكل الذين كملوا فى الإيمان.

قال معلمنا بطرس الرسول عن آلام السيد المسيح فى الجلد: "الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ" (1بط 2: 24). أى أن آلام الجلد تشفى لذة الخطية التى تمتع بها البشر، وندموا عليها وسكبوا دموع التوبة والانسحاق عندما أدركوا الآلام الرهيبة التى سببتها الجلدات المحرقة التى مزقت ظهر السيد المسيح، والتفّت أيضًا على صدره، ومزقت الشرايين المحيطة بالقفص الصدرى، ونزفت الدماء فى داخل القفص الصدرى حتى ملأته من آثار هذه الجلدات الكثيرة.

يَرَى وَيَشْبَعُ

لقد كرر إشعياء النبى كلمة "**يَرَى**" مرتين متتاليتين فى قوله "**يَرَى** نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ" (إش53: 10). وأيضاً فى قوله "**يَرَى** وَيَشْبَعُ" (إش53: 11).

وكان ذلك ليؤكّد حقيقة القيامة المجيدة. فقد رأى السيد المسيح فرحة التلاميذ بقيامته. رأى فرحة السيدة العذراء بعد أهوال الصليب، ورأى فرحة باقى المريمات ويوحنا وباقى الأحد عشر رسولاً بما فى ذلك توما الرسول، وكذلك الرسل السبعين وباقى التلاميذ إذ ظهر لأكثر من خمسمائة أخ ليكونوا شهودًا للقيامة.

إن السيد المسيح من الناحية الإنسانية قد اختبر الآلام والحزن حتى إنه قال: "نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدّاً حَتَّى الْمَوْتِ" (مر14 : 34)، وذلك فى ليلة آلامه وصلبه. وقيل عنه وقتها "ابْتَدَأَ يَحْزَنُ وَيَكْتَئِبُ" (مت 26: 37). لذلك كان ينبغى من الناحية الإنسانية أيضًا أن يفرح بثمار تعبه وأن يرى بعينيه إيمان التلاميذ بقيامته ويشاركهم أفراح القيامة، بعد أن حمل بنفسه أحزان الخلاص بالصليب. لهذا استمر السيد المسيح أربعين يومًا بعد قيامته المجيدة مع كنيسته المحبوبة وهو يظهر لتلاميذه بعد أن أراهم نفسه حيّاً ببراهين كثيرة. وبعد أن شبع السيد المسيح من أفراح تلاميذه صعد إلى أعلى السماوات حيث استقبلته جماهير الملائكة باعتباره الرب العزيز القوى الجبار ملك المجد الذى تجثو له كل ركبة.

ما أروع هذا الاستقبال لمن اشترى خليقته، وأظهر محبته للخليقة، وأبطل افتراءات إبليس ضد الله. ما هذا الحب الكبير الذى ترنمت له مئات الملايين (ربواتُ ربواتِ) من الملائكة، وسوف تردد أصداءه إلى أبد الدهور.

لقد رفع السيد المسيح رأس البشرية، بل هو نفسه صار رأسًا لها بالنسبة لمن آمنوا به وصاروا أولادًا لله.

وعند صعود السيد المسيح إلى السماء صارت الكنيسة ممتدة من الأرض إلى السماء لأن رأسها قد دخل إلى المقادس السماوية، الموضع الذى لم يدخل إليه ذو طبيعة بشرية.

إن صليب السيد المسيح قد صار مثل سلم يعقوب الذى وقف الرب عليه وكان مرتكزًا على الأرض ورأسه يمس السماء.

على الصليب كانت الصعيدة المقبولة التى اشتمّها الآب للرضى والسرور.

ليس هناك أروع من هذا الإعلان عن حب الله، وعن قداسته وعدله فى آن واحد لذلك صارت أنشودة السمائيين هى أنهم يرسلون تسبيح الغلبة والخلاص الذى لنا بصوت ممتلئ مجدًا.

وَعَبْدِي الْبَارُّ

"**وَعَبْدِي الْبَارُّ** بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا" (إش53: 11) لا نتعجب من تسمية السيد المسيح **بالعبد البار** بالنسبة للآب السماوى. لأن هذا اللقب هو ليس من حيث لاهوته، بل من حيث إنسانيته إذ أن الكلمة قد تجسّد من أجل خلاصنا..

وقد شرح معلمنا بولس الرسول هذه المسألة عن إخلاء الله الكلمة لنفسه بإخفاء مجده الإلهى الأزلى الذى له مع الله الآب حينما أخذ جسدًا وصار إنسانًا. فكتب فى رسالته إلى أهل فيلبى يقول عن السيد المسيح: "الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ مساواته لله اختلاسًا. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ" (فى 2: 6-8).

فهو يؤكّد أن السيد المسيح بالرغم من مساواته للآب من حيث لاهوته، إلا أنه لم يحسب هذا اختلاسًا لأنه شيء فى صميم طبيعته الإلهية، ولذلك أمكن أن يُخلى نفسه ويأخذ طبيعة بشرية كاملة بلا خطية ويقدم بها طاعة كاملة للآب السماوى. وبهذا أخذ صورة عبد ودعى بلقب **العبد البار**.

يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ

ويقول عنه إشعياء النبى: "بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ" (إش53: 11) فهو يعرف تدبير الخلاص والفداء الذى كان فى قصد الله منذ الدهور الأزلية بل وقبل الأزمنة الأزلية (انظر 2تى1: 9).

ولكن كيف سيبرر الكثيرين بهذه المعرفة؟ إن ذلك يتم عمليًا إذا حمل خطاياهم وأوفى الدين الذى عليهم. لذلك قال القديس يوحنا المعمدان عنه عندما رآه مُقبلاً بعد العماد المقدس: "هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ" (يو1: 29). وإشعياء نفسه عاد وأكّد هذا المعنى فى الآية التالية لكلامه وقال: "وهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ" (إش53: 12).

وقد عقد القديس بولس الرسول مقارنة بين آدم الأول الذى أخطأ وآدم الثانى البار الذى لم يخطئ فقال: "لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيَّةِ الْوَاحِدِ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِالْوَاحِدِ فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا الَّذِينَ يَنَالُونَ فَيْضَ النِّعْمَةِ وَعَطِيَّةَ الْبِرِّ سَيَمْلِكُونَ فِي الْحَيَاةِ بِالْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. فَإِذًا كَمَا بِخَطِيَّةٍ وَاحِدَةٍ صَارَ الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ هَكَذَا بِبِرٍّ وَاحِدٍ صَارَتِ الْهِبَةُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِتَبْرِيرِ الْحَيَاةِ" (رو 5: 17، 18).

ومن المفهوم أن خطية آدم كانت هى معصية الوصية. لذلك أطاع السيد المسيح الآب، وذلك عندما أخذ شكل العبد ووجد فى الهيئة كإنسان لكى يصحح موقف الإنسان أمام الله. **فالمعصية** قابلتها **طاعة** الابن الوحيد الجنس الذى تجسد من أجل خلاصنا. لذلك قال معلمنا بولس الرسول أيضًا: "لأَنَّهُ كَمَا **بِمَعْصِيَةِ** الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً، هَكَذَا أَيْضًا **بِإِطَاعَةِ** الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَارًا" (رو5: 19).

لذلك نستطيع أن نقول إن آدم الأول قد قاد البشرية إلى الموت، أما آدم الثانى فقد قاد البشرية التى أطاعته إلى الحياة.

لِذَلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الأَعِزَّاءِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً

أكمل إشعياء نبوته وقال: "لِذَلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الأَعِزَّاءِ" (إش53: 12) عندما قام السيد المسيح ظهر للأعزاء مثل مريم العذراء الملكة الحقيقية وللرسل الأحد عشر الذين سوف يجلسون مع المسيح فى يوم الدينونة ومعهم متياس الرسول على اثنى عشر كرسيًا (عرشًا) يدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر كما وعدهم السيد المسيح.

وقد ظهر الرب يسوع المسيح القائم من الأموات أيضًا لأكثر من خمسمائة أخ؛ أشار إليهم القديس بولس الرسول (انظر 1كو15: 6).

ولا شك أن شهود القيامة قد صاروا أعزاء جدًا بين جميع البشر. لهذا قال الرسل عند اختيار متياس الرسول: "يَصِيرُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ شَاهِدًا مَعَنَا بِقِيَامَتِهِ" (أع1: 22).

بين الأعزاء كان السيد المسيح بعد القيامة وأعدّهم للكرازة بالإنجيل لذلك فقد قيل إنه "**بَيْنَ الأَعِزَّاءِ.. يَقْسِمُ غَنِيمَة**ً" بمعنى أنه سوف يغتنم نفوسًا كثيرة للإنجيل.

أما "**الْعُظَمَاءِ**" ففيها إشارة إلى "ملائكة السماء" الذين احتفلوا بدخول الابن الوحيد المنتصر على الموت والهاوية. إذ يخاطب بعضهم بعضًا قائلاً: "اِرْفَعوا أَيُهَا الرؤساء أبوابكم، وَارْتَفِعى أَيَّتُهَا الأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّة، فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ. مَنْ هُوَ هَذَا مَلِكُ الْمَجْدِ؟ الرَّبُّ العزيز الْقَدِير، الرَّبُّ الْقوى فِي الحروب.. هذاِ هُوَ مَلِكُ الْمَجْدِ" (مز23: 7-10). وقد بدأت الملائكة فى تسبيح الخروف المذبوح بترنيمة جديدة، لأنهم فرحوا بإتمام الخلاص لأجلنا.

الباب التاسع

المسيح هو الخلاص وهو العهد

قوتى وتسبحتى هو الرب وقد صار لى خلاصًا

اقتبست الكنيسة فى تسابيح البصخة المقدسة عبارة من سفر إشعياء وهى {**قوتى وتسبحتى هو الرب وصار لى خلاصًا**}. وهذه العبارة تُضاف فى تسبحة "Qwk te ;jom ثوك تى تى جوم" ابتداءً من ليلة الجمعة من البصخة المقدسة إذ يُقال:

tajom nem pa `cmou pe ` Psoic af]wpi nhi eucwthria

"**تاجوم نيم با إسمو بى ابشويس أفشوبى نى إف سوتيريا**" باللغة القبطية.

وقد وردت هذه العبارة فى الإصحاح الثانى عشر من سفر إشعياء كما يلى:

"هُوَذَا اللَّهُ خَلاَصِي فَأَطْمَئِنُّ وَلاَ أَرْتَعِبُ لأَنَّ **يَاهَ يَهْوَهَ قُوَّتِي وَتَرْنِيمَتِي وَقَدْ صَارَ لِي خَلاَصًا**" (إش12: 2). ويلاحظ أن اللغة القبطية لم تستخدم كلمة " hw"hy>**يهوه**" العبرية ومعناها "الكائن" وهو اسم الله الخصوصى الذى أعلن لموسى، واستخدمت كلمة "الرب" (**`**Psoic إبشويس) فى الترجمة القبطية المأخوذة من الترجمة السبعينية باللغة اليونانية للعهد القديم، وهى أيضًا لا تستخدم كلمة "**يهوه**" العبرية بل كلمة " ku,rioj**كيريوس**" بمعنى "**الرب**".

كذلك نلاحظ أن المقطع "ياه" من كلمة "يهوه" يعنى "يهوه" أيضًا، وفى كثير من الكلمات العبرية يستخدم المقطع مضافًا إلى كلمة أخرى مثل "ياه شوع" أى "**يهوه خلّص**"، زكريا "**hyrkz** **زكرياه**" أى "**يهوه تذكر**"، إرميا "**hymry** **إرمياه"** أى "**يهوه أسس**".

المسيح هو يهوه

من ضمن الأدلة على أن السيد المسيح هو يهوه، ما ورد فى (إش12: 2) لأنه يقول: "**يَاهَ يَهْوَهَ.. صَارَ لِي خَلاَصًا**". بمعنى أن "**يهوه**" صار خلاصًا. ولم يقل فقط إن يهوه قد خلصنى أو إنه هو المخلّص، بل قال إنه هو نفسه صار لى خلاصًا. وقد كرر عبارة "يهوه" فقال "**ياه يهوه**" لأنه يقول إنه **هو نفسه** صار خلاصًا.

فالسيد المسيح هو المخلص وهو الخلاص، هو الكاهن وهو الذبيحة، هو الهيكل وهو القربان، هو الراعى وهو الحمل.

إن كل كاهن يقدّم ذبيحته من الحملان، وكل راعى يرعى الحملان. ولكن السيد المسيح كان عجيبًا لأنه قدّم نفسه، وهو عجيب أيضًا لأنه هو "**الراعى الصالح**" وهو فى نفس الوقت "**حمل الله**" الذى يحمل خطية العالم كله.

لا يفوتنا هنا أن نتذكر العبارة الواردة فى إنجيل يوحنا "**وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا"** (يو1: 14) ونحن نقرأ فى سفر إشعياء "يَاهَ يَهْوَهَ.. **صَارَ لِي خَلاَصًا**"، صار لى خلاصًا لأنه صار جسدًا يمكن أن يتألم، وأن يُصلب، وأن يموت، وأن يقوم من الأموات، وأن يصعد إلى السماء، وأن يجلس عن يمين الآب..

الأقانيم الثلاثة معًا

والجميل فيما ورد فى سفر إشعياء فى الإصحاح الثانى عشر، أن الآيات الثلاث الأولى من هذا الفصل من السفر تشير كل واحدة منها إلى أحد الأقانيم الثلاثة الآب والابن والروح القدس كما يلى:

1. **"وَتَقُولُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: أَحْمَدُكَ يَا رَبُّ لأَنَّهُ إِذْ غَضِبْتَ عَلَيَّ ارْتَدَّ غَضَبُكَ فَتُعَزِّينِي"** عن الآب.
2. "**هُوَذَا اللَّهُ خَلاَصِي فَأَطْمَئِنُّ وَلاَ أَرْتَعِبُ لأَنَّ يَاهَ يَهْوَهَ قُوَّتِي وَتَرْنِيمَتِي وَقَدْ صَارَ لِي خَلاَصًا**" عن الابن.
3. "**فَتَسْتَقُونَ مِيَاهًا بِفَرَحٍ مِنْ يَنَابِيعِ الْخَلاَصِ**" عن الروح القدس.

فالحديث عبارة عن **تسبحة ليوم الخلاص**، ليوم الفداء "وَتَقُولُ **فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ:** أَحْمَدُكَ يَا رَبُّ". وأى يوم يتكلم عنه إلا "**يوم الرب**" الذى يقول عنه المزمور "**هَذَا هُوَ الْيَوْمُ** الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ" (مز117: 24). والذى قال عنه السيد المسيح لليهود: "أبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى **يَوْمِي** فَرَأَى وَفَرِحَ" (يو8: 56). والذى قال عنه ملاخى: "يَوْمِ الرَّبِّ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ" (ملا4: 5).

أ- فى ذلك اليوم ارتد غضب الله الآب الذى "كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ" (2كو5: 19) "فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.. ارْتَدَّ غَضَبُكَ فَتُعَزِّينِي**"** (إش12: 1)، ارتد غضب الآب لسبب طاعة الابن الوحيد الجنس الذى تجسد وتأنس من العذراء مريم وصُلب على الصليب من أجل خلاصنا. ارتد غضب الآب لأنه اشتم رائحة الرضا والسرور فى الطاعة الكاملة للابن الوحيد الجنس المتجسد الذى صار إنسانًا ليقدم نفسه ذبيحة عوضًا عن جميع الذين افتداهم موفيًا دين الجميع إذ أخطأ الجميع.

ما أجمل هذه التسبحة للآب "أَحْمَدُكَ يَا رَبُّ لأَنَّهُ إِذْ غَضِبْتَ عَلَيَّ ارْتَدَّ غَضَبُكَ فَتُعَزِّينِي".. ألم يقل "كَإِنْسَانٍ تُعَزِّيهِ أُمُّهُ هَكَذَا أُعَزِّيكُمْ أَنَا" يقول الرب (إش6: 13)؟

ب- ثم تأتى التسبحة الخلاصية لتخاطب الابن "هُوَذَا اللَّهُ خَلاَصِي فَأَطْمَئِنُّ وَلاَ أَرْتَعِبُ لأَنَّ يَاهَ يَهْوَهَ قُوَّتِي وَتَرْنِيمَتِي وَقَدْ صَارَ لِي خَلاَصًا" (إش12: 2) وهو هنا **يؤكّد أن الابن هو الله**، لأنه يقول: "هُوَذَا اللَّهُ خَلاَصِي" معلوم أن الابن هو الذى صار خلاصًا.

ج- وأخيرًا تنتقل التسبحة بصورة رائعة إلى الروح القدس الذى قال عنه السيد المسيح: "**مَنْ آمَنَ بِي كَمَا قَالَ الْكِتَابُ تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ**" (يو7: 38) "**يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ**" (يو4: 14). لذلك تقول تسبحة الخلاص "فَتَسْتَقُونَ مِيَاهًا بِفَرَحٍ مِنْ يَنَابِيعِ الْخَلاَصِ" (إش12: 3). إن الروح القدس يروى العطشان ماء حياة يمنح الفرح، لأن الفرح هو من ثمار الروح القدس وهو يأخذ من استحقاقات جنب المسيح ويعطينا، وهذه هى ينابيع الخلاص.

الشهود الحقيقيون

يستخدم أصحاب بدعة شهود يهوه عبارة فى سفر إشعياء، ولكنها فى الحقيقة ضد مزاعمهم وليتهم يفهمونها.

العبارة هى:"َأَنْتُمْ شُهُودِي يَقُولُ الرَّبُّ (يهوه) وَأَنَا اللَّهُ" (إش43: 12). ويعتبر "شهود يهوه" أنهم يشهدون ليهوه الحقيقى وهو الآب، وأما الابن فيعتبرونه إلهًا صغيرًا آخر خلقه الله قبل خلق العالم، وبه خلق العالم، وهو أيضًا مخلّص العالم بالصليب.

ولكن علينا أن نقرأ الآية السابقة لهذه الآية لكى نفهم أن الكلام ينطبق على الابن لأن الابن هو الرب (يهوه) وهو الإله الحقيقى الواحد مع أبيه فى الربوبية.

يقول الرب: "أَنَا أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّصٌ. أَنَا أَخْبَرْتُ وَخَلَّصْتُ وَأَعْلَمْتُ وَلَيْسَ بَيْنَكُمْ غَرِيبٌ. وَأَنْتُمْ شُهُودِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأَنَا اللَّهُ" (إش43: 11، 12).

فالمتكلم هنا يقول إنه هو الرب (يهوه) وهو الله (إلوهيم)، وأنه ليس مخلص سواه "**لَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّصٌ**". ومعروف للجميع أن المخلص هو يسوع المسيح. فكيف يقول المتكلم "لَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّصٌ" ويستبعد شهود يهوه الابن بينما الابن هو المخلِّص.

وإذا كان الآب هنا يتكلم عن دوره فى الخلاص بقبول ذبيحة ابنه الوحيد، وبإرسال الابن إلى العالم، وإذا كان الابن (كما يدّعى شهود يهوه) هو منفصل عن الآب فكيف يقول الآب "لَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّصٌ"؟! نحن لا ننكر أن الآب يلقّب أيضًا بالمخلّص (انظر تى 3: 4-6). ولكن ليس من المقبول أن يُنسب الخلاص إلى الآب وحده مع استبعاد الابن. لذلك ففى قول الله: "**أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّصٌ" إشارة إلى أن الخلاص هو عمل الثالوث القدوس، وأن الآب والابن والروح القدس لهم ربوبية واحدة ولاهوت واحد. لا يوجد مخلّص سوى هذا الإله الواحد فى الربوبية والمثلث الأقانيم**.

إذن فالشهود الحقيقيون هم الذين يشهدون للآب والابن والروح القدس الثالوث القدوس المساوى فى الجوهر (تى إترياس إن أموأوسيوس :`triac `noumooucioc) أى الذين لهم نفس الجوهر الواحد بمساواة.

تَكُونُونَ لِي شُهُودًا

عندما أرسل السيد المسيح تلاميذه بعد قيامته المجيدة؛ قال لهم: **"وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا** فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ" (أع1: 8).

كانت الشهادة للسيد المسيح ذات أهمية قصوى لأنها هى بشارة الخلاص الذى صنعه الرب (يهوه). وقد شرح السيد المسيح بنفسه ذلك عندما ظهر لتلاميذه مجتمعين بعد قيامته "وَقَالَ لَهُمْ: هَكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ وَهَكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ. وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسمهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ مُبْتَدأً مِنْ أُورُشَلِيمَ. **وَأَنْتُمْ شُهُودٌ لِذَلِكَ**" (لو24: 46-48).

ما فائدة الشهادة للآب السماوى دون الشهادة للابن؟ ألم يشهد أنبياء العهد القديم لإله إبراهيم باعتباره هو خالق العالم، والذى أعطى الوعد بالخلاص، وأعطى الناموس لموسى بكل ما فيه من رموز عن التجسد وعن الفداء.

لم يكن الابن قد تجسّد وصنع الفداء.. ولكن الأنبياء شهدوا عن مواعيد الله "كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ. وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسمهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا" (لو24: 46، 47).

وهنا نسأل أصحاب بدعة "شهود يهوه" الذين يعتبرون أنفسهم شهودًا للآب فقط معتبرين أن يهوه هو الآب وليس الابن والروح القدس أيضًا، نسألهم هل هم ينفذون وصية السيد المسيح "**وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا**" (أع1: 8)، أم هم ينكرون الرب الذى اشتراهم؟ مثلما قال عنهم بطرس الرسول: "**وَإِذْ هُمْ يُنْكِرُونَ الرَّبَّ الَّذِي اشْتَرَاهُمْ، يَجْلِبُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ هَلاَكًا سَرِيعًا" (2بط2: 1).**

من هو الرب الذى اشترانا إلا الرب يسوع المسيح الذى اشترانا بدمه الكريم، وهذا ما عبّر عنه الأربعة وعشرون قسيسًا فى سفر الرؤيا "وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ: مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ، **لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا لِلَّهِ بِدَمِكَ** مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ" (رؤ5: 9).

إذن فالذى ذُبح واشترانا لله بدمه هو السيد المسيح. فمن ينكر ألوهية السيد المسيح -مثلما يفعل أصحاب بدعة "شهود يهوه"- ينكر الرب الذى اشترانا بدمه ويجلب على نفسه هلاكًا سريعًا.

وينبغى أن نتذكر قول معلمنا يوحنا الرسول "**كُلُّ مَنْ يُنْكِرُ الابن لَيْسَ لَهُ الآبُ أَيْضًا، وَمَنْ يَعْتَرِفُ بِالابن فَلَهُ الآبُ أَيْضًا**" (1يو2: 23).

هذه نصيحة نقولها لأصحاب بدعة "شهود يهوه" الذين يتمسكون بالآب وحده.

المسيح هو الخلاص

لقد تغنى إشعياء النبى بهذه الحقيقة حينما قال: "هُوَذَا اللَّهُ خَلاَصِي فَأَطْمَئِنُّ وَلاَ أَرْتَعِبُ لأَنَّ يَاهَ يَهْوَهَ قُوَّتِي وَتَرْنِيمَتِي **وَقَدْ صَارَ لِي خَلاَصًا**" (إش12: 2). وهو يقصد أن الله (يهوه) قد **"صَارَ خَلاَصًا**".. فهو ليس فقط "**المخلّص**"، بل **"صَارَ خَلاَصًا**". مثلما كتب القديس يوحنا الرسول الإنجيلى "وَالْكَلِمَةُ **صَارَ جَسَدًا**" (يو1: 14). **أى أن السيد المسيح هو المخلّص وهو الخلاص نفسه**.. **كذلك هو صانع العهد وهو العهد نفسه، لأنه تجسد وأعطانا دمه عهدًا جديدًا**.

إن **الخلاص هو تدبير الثالوث القدوس** الآب والابن والروح القدس؛ الإله الواحد المثلث الأقانيم. الله هو المخلّص، وهذا الخلاص قد تحقق بإرسال الابن إلى العالم فصار هو العهد، وتحقق بإرسال الروح القدس حسب موعد الآب ليأخذ من استحقاقات خلاص الابن ويعطينا فى أسرار الكنيسة بالميلاد الفوقانى فى المعمودية، وبمفاعيل الخلاص فى سائر الأسرار..

**إن الابن الذى هو المخلّص والخلاص فى آنٍ واحد**... هو موضوع اللقاء بين الله والإنسان، لأن الله الكلمة قد اتخذ طبيعة بشرية كاملة بلا خطية وجعلها خاصةً به جدًا His very own حسب تعبير القديس كيرلس الكبير. هو نفسه الله الكلمة وهو نفسه ابن الإنسان فى آنٍ واحد بعد التجسد. وقد جعل لاهوته واحدًا مع ناسوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا انفصال، وذلك بالاتحاد الطبيعى الأقنومى الكامل والحقيقى. وهذا الاتحاد سوف يبقى إلى الأبد. وكما قال القديس كيرلس الكبير فإن الله الكلمة لم يتخذ إنسانًا من البشر، بل صار هو نفسه إنسانًا بالتجسّد. ولذلك فالاتحاد الأقنومى هو أمر لا يمكن أن يحدث بالنسبة لسائر البشر ولا حتى للمؤمنين كما يدّعى البعض من دعاة تأليه الإنسان.

عمل المسيح الخلاصى

فى كثير من مواضع نبوة سفر إشعياء نجد أقوالاً تشير إلى عمل السيد المسيح الخلاصى..

ونراه يتنبأ عن ابتلاع الموت الذى خيّم على البشرية جمعاء فيقول "وَيَصْنَعُ رَبُّ الْجُنُودِ **لِجَمِيعِ الشُّعُوبِ** فِي هَذَا الْجَبَلِ وَلِيمَةَ.. وَيُفْنِي فِي هَذَا الْجَبَلِ.. َالْغِطَاءَ الْمُغَطَّى بِهِ **عَلَى كُلِّ الأُمَمِ.** **يَبْلَعُ الْمَوْتَ إِلَى الأَبَدِ** وَيَمْسَحُ السَّيِّدُ الرَّبُّ الدُّمُوعَ عَنْ كُلِّ الْوُجُوهِ وَيَنْزِعُ عَارَ شَعْبِهِ **عَنْ كُلِّ الأَرْضِ** لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ تَكَلَّمَ. وَيُقَالُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: هُوَذَا هَذَا إِلَهُنَا. انْتَظَرْنَاهُ فَخَلَّصَنَا. هَذَا هُوَ الرَّبُّ انْتَظَرْنَاهُ. **نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ بِخَلاَصِهِ**" (إش25: 6-9).

لِجَمِيعِ الشُّعُوبِ

نلاحظ أن الوعد بالخلاص فى هذه النبوة لا يخص شعب إسرائيل وحده، بل يمتد إلى "**ِجَمِيعِ الشُّعُوبِ**" وإلى "**كُلِّ الأُمَمِ**" وعن "**كُلِّ الأَرْضِ**".

كما أن عبار**ة "يُفْنِي** **فِي هَذَا الْجَبَلِ.. َالْغِطَاءَ الْمُغَطَّى بِهِ عَلَى كُلِّ الأُمَمِ**. **يَبْلَعُ الْمَوْتَ إِلَى الأَبَدِ**" تشرح بوضوح أن الرب يريد إفناء الموت ومنح الحياة الأبدية.

وماذا يمكن أن يكون **الغطاء** الذى غطّى كل الأمم إلا **الموت** الذى ملك وغطّى على جميع الشعوب والأمم. ويتضّح ذلك من العبارة اللاحقة "يَبْلَعُ الْمَوْتَ إِلَى الأَبَدِ". فعلاً لقد "ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ" (انظر هو13: 14، 1كو15: 54) بالفداء.

كان أهم انتظار للبشرية هو فى الخلاص من الموت، ولم يكن ذلك باستطاعة أى إنسان من البشر العاديين، بل استلزم الأمر أن يتجسد ابن الله الوحيد ويصير إنسانًا لكى يحمل خطايا البشرية ويتمم الفداء بالصليب.

أفراح الخلاص ونتائجه

تستطرد النبوة إلى ما بعد ابتلاع الموت فتقول إن الرب سوف يمسح الدموع من كل الوجوه، وينزع عار شعبه عن كل الأرض.

لقد عاشت البشرية فى أحزان الموت.. تحت سلطانه وظلاله الكئيبة، مثلما نصلى فى القداس الإلهى ونقول: [وفى آخر الأيام ظهرت لنا نحن الجلوس فى الظلمة وظلال الموت].

كان الوضع يدعو بالفعل إلى البكاء على حال البشرية، وما آلت إليه بعد السقوط والخروج من الفردوس والدخول إلى حالة الموت الذى دخل إلى العالم بحسد إبليس. وقد لحق بالبشرية عار عظيم لسبب الخطية والعداوة الحادثة بين الله والإنسان، وبين الإنسان وأخيه الإنسان، وحتى بين الروح والجسد فى الإنسان.

لقد شمت إبليس فى البشرية وصار يعيّرها.. وصارت عارًا فى وسط الخليقة العاقلة.. لذلك تقول النبوة عن الله وعمله فى الخلاص "وَيَنْزِعُ عَارَ شَعْبِهِ عَنْ كُلِّ الأَرْضِ **لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ** **تَكَلَّمَ**".

لقد وعد الرب بالخلاص وأوفى وعده المقدس. وكما أن الوعد كان بكلام من الله تم تدوينه فى الأسفار المقدسة، هكذا كان الخلاص بكلمة الله نفسه الذى تجسد وحقق العهد الخاص بالخلاص. وهناك فرق طبعًا بين كلام الله الذى أعلنه بواسطة أنبيائه القديسين وبين الله الكلمة ذاته كأقنوم إلهى، ولكن الجميل أن ما قاله الرب قد تحقق فى ابنه الوحيد الذى هو الكلمة (اللوغوس).

وعن ذلك قال معلمنا بولس الرسول: "اللهُ، بَعْدَ مَا **كَلَّمَ** الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، **كَلَّمَنَا** فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابنهِ" (عب1: 1، 2).

وفى ختام هذه النبوة يتحدث عن تسابيح وأفراح الخلاص الذى انتظرته البشرية فيقول: **"هُوَذَا هَذَا إِلَهُنَا. انْتَظَرْنَاهُ فَخَلَّصَنَا. هَذَا هُوَ الرَّبُّ انْتَظَرْنَاهُ. نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ بِخَلاَصِهِ" (إش25: 9)**.

لم يعد الله هو الخالق فقط، بل صار هو المعتنى بالخليقة وبخلاصها.. وهكذا يليق به لأنه هو إلهنا انتظرناه فخلصنا وصرنا نسبحه مع المرنم: **"هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ. فلنَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ فِيهِ. يَا رَبُّ خَلِّصْنا، يَا رَبُّ سهل سبلنا، مُبَارَكٌ الآتِي بِاسم الرَّبِّ"** (مز117: 24-26).

تسابيح البهجة الخلاصية

تزدحم الإصحاحات الأخيرة من سفر إشعياء بأقوال عن الخلاص وعن المسيا المنتظر وبتسابيح البهجة الخلاصية. وسوف نورد مقتطفات منها متتالية، ثم نحاول ربطها ببعضها البعض كما يلى:

* "فَرَحاً أَفْرَحُ بِالرَّبِّ، تَبْتَهِجُ نَفْسِي بِإِلَهِي، لأَنَّهُ قَدْ أَلْبَسَنِي ثِيَابَ الْخَلاَصِ. كَسَانِي رِدَاءَ الْبِرِّ، مِثْلَ عَرِيسٍ يَتَزَيَّنُ بِعِمَامَةٍ، وَمِثْلَ عَرُوسٍ تَتَزَيَّنُ بِحُلِيِّهَا" (إش61: 10).
* "مِنْ أَجْلِ صِهْيَوْنَ لاَ أَسْكُتُ وَمِنْ أَجْلِ **أُورُشَلِيمَ** لاَ أَهْدَأُ حَتَّى يَخْرُجَ بِرُّهَا كَضِيَاءٍ وَخَلاَصُهَا كَمِصْبَاحٍ يَتَّقِدُ. فَتَرَى الأُمَمُ بِرَّكِ وَكُلُّ الْمُلُوكِ مَجْدَكِ وَتُسَمَّيْنَ **بِاسْمٍ جَدِيدٍ يُعَيِّنُهُ فَمُ الرَّبِّ**. وَتَكُونِينَ إِكْلِيلَ جَمَالٍ بِيَدِ الرَّبِّ وَتَاجاً مَلَكِيّاً بِكَفِّ إِلَهِكِ" (إش62: 1-3).
* "وَكَفَرَحِ الْعَرِيسِ بِالْعَرُوسِ يَفْرَحُ بِكِ إِلَهُكِ" (إش62: 5).
* "اُعْبُرُوا اعْبُرُوا بِالأَبْوَابِ. هَيِّئُوا طَرِيقَ الشَّعْبِ. أَعِدُّوا أَعِدُّوا السَّبِيلَ. نَقُّوهُ مِنَ الْحِجَارَةِ. ارْفَعُوا الرَّايَةَ لِلشَّعْبِ. هُوَذَا الرَّبُّ قَدْ أَخْبَرَ إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ قُولُوا لاِبْنَةِ صِهْيَوْنَ: **هُوَذَا مُخَلِّصُكِ آتٍ**. هَا أُجْرَتُهُ مَعَهُ وَجِزَاؤُهُ أَمَامَهُ. وَيُسَمُّونَهُمْ شَعْباً مُقَدَّساً، مَفْدِيِّي الرَّبِّ" (إش62: 10-12).
* "مَنْ ذَا **الآتِي** مِنْ أَدُومَ بِثِيَابٍ حُمْرٍ مِنْ بُصْرَةَ؟ هَذَا الْبَهِيُّ بِمَلاَبِسِهِ. الْمُتَعَظِّمُ بِكَثْرَةِ قُوَّتِهِ؟

"أَنَا الْمُتَكَلِّمُ بِالْبِرِّ الْعَظِيمُ لِلْخَلاَصِ".

"مَا بَالُ لِبَاسِكَ مُحَمَّرٌ وَثِيَابُكَ كَدَائِسِ الْمِعْصَرَةِ؟".

"قَدْ دُسْتُ الْمِعْصَرَةَ وَحْدِي وَمِنَ الشُّعُوبِ لَمْ يَكُنْ مَعِي أَحَدٌ.... فَنَظَرْتُ وَلَمْ يَكُنْ مُعِينٌ وَتَحَيَّرْتُ إِذْ لَمْ يَكُنْ عَاضِدٌ فَخَلَّصَتْ لِي ذِرَاعِي وَغَيْظِي عَضَدَنِي.. لَيْتَكَ تَشُقُّ السَّمَاوَاتِ وَتَنْزِلُ! مِنْ حَضْرَتِكَ تَتَزَلْزَلُ الْجِبَالُ" (إش63: 1-3، 5، 64: 1).

لماذا يقول الرب إنه سوف يعطى "أورشليم" اسمًا جديدًا يعينه فم الرب، إلاّ لأنها سيصير اسمها "كنيسة المسيح" و"عروس المسيح"، وقد لمّح الرب بقوله: "مِثْلَ عَرِيسٍ يَتَزَيَّنُ بِعِمَامَةٍ، وَمِثْلَ عَرُوسٍ تَتَزَيَّنُ بِحُلِيِّهَا"، وأيضًا "كَفَرَحِ الْعَرِيسِ بِالْعَرُوسِ يَفْرَحُ بِكِ إِلَهُكِ". وهذه العبارات تشير إلى الكنيسة المفدية والمشتراة بدم السيد المسيح، لذلك يقول عن أولادها: "وَيُسَمُّونَهُمْ شَعْباً مُقَدَّساً، **مَفْدِيِّي الرَّبِّ**".

**وقد ارتبط الخلاص فى هذه الآيات بدم المسيح بصورة واضحة** إذ يقول: "**أَلْبَسَنِي ثِيَابَ الْخَلاَصِ**"، "**وَخَلاَصُهَا كَمِصْبَاحٍ يَتَّقِدُ**"، "هُوَذَا مُخَلِّصُكِ **آتٍ**"، "مَنْ ذَا **الآتِي** مِنْ أَدُومَ بِثِيَابٍ حُمْرٍ؟"، "مَا بَالُ **لِبَاسِكَ مُحَمَّرٌ وَثِيَابُكَ كَدَائِسِ الْمِعْصَرَةِ**؟"، "قَدْ دُسْتُ الْمِعْصَرَةَ"، "أَنَا الْمُتَكَلِّمُ بِالْبِرِّ الْعَظِيمُ لِلْخَلاَصِ"، "خَلَّصَتْ لِي ذِرَاعِي وَغَيْظِي عَضَدَنِي".

والمقصود بعبارة: "**غَيْظِي عَضَدَنِي**" أن الرب على الصليب قد أعلن غضب الثالوث القدوس على الخطية. فهو لم يعلن فقط محبة الثالوث للبشرية، بل أعلن قداسة الله ورفضه للخطية.. ولهذا السبب أوفى الدين بذبيحة نفسه على الصليب حيث أخذ القاضى مكان المتهم وحمل خطايا كثيرين وشفع فى المذنبين. وقد تقبّل الآب هذه الكفارة التى أصعدها الروح القدس النارى فوق الجلجثة كقول معلمنا بولس الرسول عن المسيح: "الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلاَ عَيْبٍ" (عب9: 14).

وقد أشار يوحنا الرسول الإنجيلى فى رؤياه إلى المعصرة التى اجتازها السيد المسيح، فقال عنه: "**وَهُوَ يَدُوسُ مَعْصَرَةَ خَمْرِ سَخَطِ وَغَضَبِ اللهِ** الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَلَهُ عَلَى ثَوْبِهِ وَعَلَى فَخْذِهِ اسْمٌ مَكْتُوبٌ: **مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ**" (رؤ19: 15، 16). وقال عنه فى نفس الموضع: "وَهُوَ مُتَسَرْبِلٌ بِثَوْبٍ **مَغْمُوسٍ بِدَمٍ**، وَيُدْعَى اسْمُهُ **كَلِمَةَ اللهِ" (رؤ19: 13).**

قَدْ دُسْتُ الْمِعْصَرَةَ وَحْدِي

يدّعى البعض فى أيامنا هذه أن السيد المسيح لم يتألم عنّا، ولم يُصلب عنّا، ولم يمُت عنّا. وذلك بدعوى أننا قد تألمنا معه وصُلبنا معه ومتنا معه. ويقولون إن التعبير الصحيح هو أنه تألم لأجلنا، وصُلب لأجلنا، ومات لأجلنا. ويعتبرون "**لأجلنا**" أنها لا تعنى "**عوضًا عنّا**" أو "**بدلاً منّا**".

ولكن السيد المسيح يحسم الأمر بفم إشعياء النبى ويقول: "قَدْ دُسْتُ الْمِعْصَرَةَ **وَحْدِي** وَمِنَ الشُّعُوبِ **لَمْ يَكُنْ مَعِي أَحَدٌ**" (إش63: 3) أى أن السيد المسيح قد صُلب وحده. فهل يضع هؤلاء المعلمون الجدد حكمتهم فوق إعلانات الوحى المقدس؟! وبماذا يجيبون؟..

إن عبارة "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ" (غل2: 20) قد فسّرها بولس الرسول بأن هذا قد تم **فى المعمودية** وليس على الجلجثة، فقال: "أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ. فَدُفِنَّا مَعَهُ **بِالْمَعْمُودِيَّةِ** لِلْمَوْتِ.. عَالِمِينَ هَذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ" (رو6: 3-6).

أَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ

يخاطب الآب فى سفر إشعياء الابن الوحيد المتجسد بقوله: "**أَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ** وَنُورًا لِلأُمَمِ. لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْيِ لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ" (إش42: 6، 7).

الجميل فى هذا النص أن الآب السماوى يقول إن السيد المسيح لم يقطع فقط عهدًا مع الشعب المؤمن باسمه مثلما ورد فى سفر إرميا (إر31: 31)، بل أنه هو نفسه **"العهد".**

والسبب فى ذلك هو أن الابن الكلمة قد صار له جسدًا يمكن أن يتألم وأن يعلّق على الصليب، وأن يقبل الموت، وأن يقوم من الأموات، وأن يصعد إلى السماوات.

عبارة "**أَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ**" تحمل فى طياتها كل هذه المعانى بداية من معنى "**التجسُّد**" الذى قال عنه السيد المسيح للآب فى المزمور: "**هَيَّأْتَ لِي جَسَدًا**" (عب10: 5، انظر مز40: 6 حسب الترجمة السبعينية).

فى القديم صنع الرب عهدًا مع شعب إسرائيل بيد موسى النبى ورش دم الذبائح الحيوانية، وحدث نقض لذلك العهد لسبب خطايا الشعب وزيغانهم.

وجاء السيد المسيح وقدّم نفسه ذبيحة خلاصية، وقال فى ليلة آلامه لتلاميذه عن كأس دمه المقدس الذى يُسفك فى جَلده وفى سائر آلامه حتى على الصليب: "هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ **الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي** الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ" (لو22: 20).

وبهذا أوضح السيد المسيح أن دمه المسفوك فى آلامه والممنوح أيضًا فى كأس الإفخارستيا هو العهد الجديد. هو دمه الخاص، وما يُنسب إلى جسده وإلى دمه الخاص يُنسب إليه هو شخصيًا.

وبهذا صنع السيد المسيح العهد الجديد وقال لتلاميذه: "اصْنَعُوا هَذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي" (1كو11: 25).

فالسيد المسيح هو "**الْعَهْدُ**" لأن دمه هو "**الْعَهْدُ**"، وذلك لأنه "**تجسّد وتأنّس وصُلب عنّا**".

فما أجمل هذه الأنشودة الجديدة "**أَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ وَنُورًا لِلأُمَمِ**" التى تغنى بها الآب نفسه على فم إشعياء النبى.. هل هناك حب أعظم من هذا؟!.. "لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابنهُ الْوَحِيدَ الجنس لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو3: 16).

ولكن الملفت للنظر أن الرب يقول بفم إشعياء النبى: "**وَأَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ**". أى أن السيد المسيح هو نفسه العهد الجديد.

* هو العهد الجديد لأن دمه فى كأس الإفخارستيا وكذلك هو نفسه الذى سفك على الصليب، هو العهد الجديد.
* وهو العهد الجديد لأنه لم يمكن لأية ذبيحة أن تكفّر عن خطايا العالم سوى ذبيحة المسيح.
* وهو العهد الجديد لأنه لا يمكن أن يستمر العهد إلا بضمان إلهى فلا ينقض، وهل يمكن أن ينقض أحد المسيح نفسه؟! إذن "قَدْ صَارَ يَسُوعُ ضَامِنًا لِعَهْدٍ أَفْضَلَ" (عب7: 22) كقول معلمنا بولس الرسول.

إن الله "إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْظَمُ يُقْسِمُ بِهِ، أَقْسَمَ بِنَفْسِهِ" (عب6: 13)، وإذ لم يجد أعظم يقدمه، قدّم ابنه الوحيد الجنس المتجسد.

بمعنى أن الله الابن قدّم ذاته فصار هو العهد الذى لا يمكن أن يُنقض.

أَجْعَلُكَ.. نُوراً لِلأُمَمِ

لم يصر السيد المسيح فقط عهدًا للشعب، بل صار نورًا للأمم الجالسين فى الظلمة.

**"**كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ" (يو1: 9). وكما قال قداسة البابا شنودة الثالث –أطال الرب حياة قداسته: السيد المسيح هو النور الحقيقى الذى يستمد منه الجميع النور، لذلك قيل عنه إنه هو "النور الحقيقى" وليس مجرد "النور".

لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْيِ

لم يفتح السيد المسيح فقط عينى المولود أعمى، بل فتح بصيرته عندما طرده اليهود من المجمع إذ وجده وقال له: "أَتُؤْمِنُ بِابن اللَّهِ؟ أَجَابَ: مَنْ هُوَ يَا سَيِّدُ لأُومِنَ بِهِ؟ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: قَدْ رَأَيْتَهُ وَالَّذِي يَتَكَلَّمُ مَعَكَ هُوَ هُوَ. فَقَالَ: أُومِنُ يَا سَيِّدُ. وَسَجَدَ لَهُ" (يو9: 35-38) لقد انفتحت أعين قلبه وآمن بلاهوت السيد المسيح.

لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ

من كان يستطيع أن ينزل إلى الجحيم، ويحطم متاريسه، ويفك المأسورين سوى الله نفسه. وذلك من خلال تجسده وموته على الصليب وانطلاق روحه المتحد باللاهوت ليكرز للأرواح فى السجن كقول نبوة إشعياء: "**لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ**" (إش42: 7).

بالفعل تكلّم القديس بطرس الرسول عن ذلك فى رسالته الأولى وقال عن السيد المسيح: "**مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا ذَهَبَ فَكَرَزَ لِلأَرْوَاحِ الَّتِي فِي السِّجْنِ**" (1بط 3: 18، 19).

لقد بشَّرهم بإتمام الفداء وبالمصالحة وبأن انتظارهم للخلاص لم يذهب هباءً، بل حقق الرب وعده للآباء كما تنبأ زكريا الكاهن والد يوحنا المعمدان قائلاً: "مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ. وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ. كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ هُمْ مُنْذُ الدَّهْرِ. خَلاَصٍ مِنْ أَعْدَائِنَا وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ مُبْغِضِينَا. لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ **عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ**. الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا: أَنْ يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا" (لو1: 68-74).

وَأَقْطَعَ لَكُمْ عَهْدًا أَبَدِيّاً مَرَاحِمَ دَاوُدَ الصَّادِقَةَ

"أَمِيلُوا آذَانَكُمْ وَهَلُمُّوا إِلَيَّ. اسْمَعُوا فَتَحْيَا أَنْفُسُكُمْ. **وَأَقْطَعَ لَكُمْ عَهْدًا أَبَدِيّاً مَرَاحِمَ دَاوُدَ الصَّادِقَةَ. هُوَذَا قَدْ جَعَلْتُهُ شَارِعًا لِلشُّعُوبِ رَئِيسًا وَمُوصِيًا لِلشُّعُوبِ**" (إش55: 3، 4)، من هو هذا داود الذى سوف تشمل مراحمه الشعوب ويقطع الله بناءً على مراحمه عهدًا أبديًا مع البشرية؟ وكيف سوف يصير داود هذا شارعًا ورئيسًا وموصيًا للشعوب؟!

من الواضح أن المقصود هنا ليس هو داود النبى والملك. ولكن المقصود هو السيد المسيح ابن داود الذى استقبلته الجموع فى يوم دخوله إلى أورشليم بعبارة "**مُبَارَكَةٌ مَمْلَكَةُ أَبِينَا دَاوُدَ الآتِيَةُ بِاسْمِ الرَّبِّ**" (مر11: 10)، "أُوصَنَّا (هوشعنا أى خلصنا) فِي الأَعَالِي" (مت21: 9). و"مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّب" (لو13: 35).

إن أشعياء النبى قد نطق بهذه النبوة بعد رحيل داود بحوالى مائتى سنة، والنبوة تعطى وعدًا أن الرب سوف يقطع للبشر **عهدًا أبديًا** بقوله "**اسْمَعُوا فَتَحْيَا أَنْفُسُكُمْ. وَأَقْطَعَ لَكُمْ عَهْدًا أَبَدِيّاً**" (إش55: 3).

وهذا الوضع يشبه ما شرحه القديس بطرس الرسول فى يوم الخمسين عن ما ورد على لسان داود النبى فى المزمور من نبوات عن آلام وموت وقيامة السيد المسيح؛ مع أنه قالها بصيغة المتكلم كأنه يقول عن نفسه. وهذا نص كلام بطرس الرسول:

"لأَنَّ دَاوُدَ يَقُولُ فِيهِ: كُنْتُ أَرَى الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ أَنَّهُ عَنْ يَمِينِي لِكَيْ لاَ أَتَزَعْزَعَ. لِذَلِكَ سُرَّ قَلْبِي وَتَهَلَّلَ لِسَانِي. حَتَّى جَسَدِي أَيْضًا سَيَسْكُنُ عَلَى رَجَاءٍ. لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ وَلاَ تَدَعَ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا. عَرَّفْتَنِي سُبُلَ الْحَيَاةِ وَسَتَمْلأُنِي سُرُورًا مَعَ وَجْهِكَ. أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ **يَسُوغُ أَنْ يُقَالَ لَكُمْ جِهَارًا عَنْ رَئِيسِ الآبَاءِ دَاوُدَ إِنَّهُ مَاتَ وَدُفِنَ وَقَبْرُهُ عِنْدَنَا حَتَّى هَذَا الْيَوْمِ**. فَإِذْ كَانَ نَبِيّاً وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ حَلَفَ لَهُ بِقَسَمٍ أَنَّهُ مِنْ ثَمَرَةِ صُلْبِهِ يُقِيمُ الْمَسِيحَ حَسَبَ الْجَسَدِ لِيَجْلِسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ. سَبَقَ فَرَأَى وَتَكَلَّمَ عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ لَمْ تُتْرَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَلاَ رَأَى جَسَدُهُ فَسَادًا. فَيَسُوعُ هَذَا أَقَامَهُ اللهُ وَنَحْنُ جَمِيعًا شُهُودٌ لِذَلِكَ" (أع2: 25- 32).

وقد استند القديس بطرس الرسول إلى موت داود ووجود قبره عند اليهود إلى يوم الخمسين الذى تكلم فيه بطرس الرسول، إلى أن **المقصود بالكلام ليس داود النبى نفسه بل ابن داود وهو السيد المسيح.**

ولا يفوتنا بهذه المناسبة أن نشير إلى ما ورد فى هذا النص عن **رؤية داود النبى لقيامة السيد المسيح** وليس فقط الإلهام بشأنها فى كلمات، إذ قال بطرس الرسول عن داود النبى: "**سَبَقَ فَرَأَى وَتَكَلَّمَ عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ**" (أع2: 31). ولم يكن داود فقط هو الذى رأى ذلك، بل أن السيد المسيح قد أشار إلى رؤية إبراهيم ليوم الفداء أى لصلب المسيح وقيامته إذ قال الرب يسوع لليهود: "**أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ**" (يو8: 56)، والمفهوم طبعًا أنه رأى ذلك عندما همّ بتقديم إسحق ابنه ذبيحة وافتداه الرب بخروف موثق بقرنيه.

عهدًا أبديًا

لقد أكّد إرميا النبى أنه يوجد عهد قديم وعهد جديد بين الله وشعبه. وأن العهد القديم قد نقضه شعب إسرائيل، أما العهد الجديد فهو عهد لا ينقض وبذلك يكون **عهدًا أبديًا.** والسبب نحن نفهمه جيدًا لأن **العهد الجديد هو دم السيد المسيح الذى سفك على الصليب والمستمر فى كأس الإفخارستيا** كقول الرب لتلاميذه: "**هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي** الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ" (لو22: 20، 1كو11: 25). بل أن الآب قد قال للابن بفم إشعياء النبى: "أَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ وَنُورًا لِلأُمَمِ. لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْيِ لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ" (إش42: 6، 7).

أى أن السيد المسيح هو نفسه العهد الجديد لكل من اليهود والأمم لأنه قد صنع هذا العهد بدم صليبه المحيى المانح للحياة الأبدية.

نفس هذا العهد قال عنه الرب فى سفر إشعياء: "عَهْدُ سَلاَمِي لاَ يَتَزَعْزَعُ قَالَ رَاحِمُكِ الرَّبُّ" (إش54: 10).

أما ما ورد فى سفر إرميا عن العهدين فهو كما يلى:

"هَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا **عَهْدًا جَدِيدًا. لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ** يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ حِينَ نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ يَقُولُ الرَّبُّ. بَلْ **هَذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقْطَعُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ** بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ يَقُولُ الرَّبُّ: **أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ** **وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا**. وَلاَ يُعَلِّمُونَ بَعْدُ كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ قَائِلِينَ: اعْرِفُوا الرَّبَّ لأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ وَلاَ أَذْكُرُ خَطِيَّتَهُمْ بَعْدُ" (إر31: 31-34).

هذا الكلام قد قيل عن بيت إسرائيل وبيت يهوذا لأنهم نقضوا العهد القديم الذى كان بينهم وبين الرب. ولكن العهد الجديد هو لجميع المؤمنين بالمسيح من جميع الأمم وجميع الشعوب؛ لأن النبوة التى نحن بصددها فى سفر أشعياء تستطرد وتقول: "هَا أُمَّةٌ لاَ تَعْرِفُهَا تَدْعُوهَا وَأُمَّةٌ لَمْ تَعْرِفْكَ تَرْكُضُ إِلَيْكَ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ إِلَهِكَ وَقُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ قَدْ مَجَّدَكَ" (إش55: 5).

رُوحِي الَّذِي عَلَيْكَ

"وَيَأْتِي الْفَادِي إِلَى صِهْيَوْنَ، وَإِلَى التَّائِبِينَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ فِي يَعْقُوبَ يَقُولُ الرَّبُّ. **أَمَّا أَنَا فَهَذَا عَهْدِي مَعَهُمْ قَالَ الرَّبُّ**: رُوحِي الَّذِي عَلَيْكَ وَكَلاَمِي الَّذِي وَضَعْتُهُ فِي فَمِكَ لاَ يَزُولُ مِنْ فَمِكَ، وَلاَ مِنْ فَمِ نَسْلِكَ، وَلاَ مِنْ فَمِ نَسْلِ نَسْلِكَ، قَالَ الرَّبُّ: مِنَ الآنَ وَإِلَى الأَبَدِ" (إش59: 20، 21).

يتكلم الآب فى هذه النبوة موجهًا الكلام فى البداية إلى شعبه بقوله: "َيَأْتِي الْفَادِي.. يَقُولُ الرَّبُّ"، ثم يتحول بالكلام إلى السيد المسيح نفسه الذى هو الفادى المقصود فى عبارة "وَيَأْتِي الْفَادِي إِلَى صِهْيَوْنَ". فيقول الآب للابن فى باقى النبوة: "أَمَّا أَنَا فَهَذَا عَهْدِي مَعَهُمْ.. **رُوحِي الَّذِي عَلَيْكَ** وَكَلاَمِي الَّذِي وَضَعْتُهُ فِي فَمِكَ لاَ يَزُولُ مِنْ فَمِكَ، وَلاَ مِنْ فَمِ نَسْلِكَ.. مِنَ الآنَ وَإِلَى الأَبَدِ".

وقد سبق فى نفس سفر إشعياء أن قال الآب عن الابن: "هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. **وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ** فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ" (إش42: 1). ونلاحظ التشابه بين عبارة "**رُوحِي الَّذِي عَلَيْكَ**" فى (إش59: 21) وعبارة "**وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ**" فى (إش42: 1).

عبارة "**رُوحِي الَّذِي عَلَيْكَ**" تشير إلى مسح السيد المسيح بحسب ناسوته فى نهر الأردن بالروح القدس عندما حل الروح عليه بهيئة جسمية مثل حمامة واستقر على رأسه.

وقد قَبِل السيد المسيح المسحة بالروح القدس كرأس للكنيسة لكى تنحدر المسحة من الرأس إلى الأعضاء، الأمر الذى تحقق فى يوم الخمسين حينما حل الروح القدس على التلاميذ.

أما عبارة "**مِنْ فَمِ نَسْلِكَ**" فقد سبق أن أوضحنا أن النسل المقصود فى الحديث عن السيد المسيح هو النسل الروحى الذى ينال الميلاد الفوقانى أى الميلاد من الله. مثلما أوضح القديس يوحنا الرسول عن المؤمنين بالمسيح "وأمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ" (يو1: 12).

لهذا قال معلمنا بولس الرسول: "لَيْسَ أَوْلاَدُ الْجَسَدِ هُمْ أَوْلاَدَ اللهِ، بَلْ أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ يُحْسَبُونَ نَسْلاً" (رو9: 6). أى أن النسل الروحى بالولادة من الله لأولاد الموعد هو بخلاف النسل الجسدى.

فلمَن يقول الآب فى هذه الآية من نبوة إشعياء النبى: "**كَلاَمِي الَّذِي وَضَعْتُهُ فِي فَمِكَ، لاَ يَزُولُ مِنْ فَمِكَ، وَلاَ مِنْ فَمِ نَسْلِكَ.. مِنَ الآنَ وَإِلَى الأَبَدِ**"؟! لا يمكن أن ينطبق هذا الكلام على إشعياء النبى لأن من هو الذى سوف يبقى كلام الرب فى فمه إلى الأبد؟! وأين هو نسل إنسان سوف يستمر كلام الرب فى فم نسله إلى الأبد؟!

**إن الوعد فى هذه النبوة هو خاص بالعهد الجديد** لذلك قال الرب: "**أَمَّا أَنَا فَهَذَا عَهْدِي مَعَهُمْ**". وأوضح الآب أن **الوعد الذى يمنحه هو الوعد بحلول الروح القدس** الذى سوف يقود التعليم فى الكنيسة ويقود القديسين "**مِنَ الآنَ وَإِلَى الأَبَدِ**".

وقد أشار السيد المسيح بالفعل إلى هذا الموعد أو الوعد عندما أمر تلاميذه ألا يبرحوا أورشليم حتى **يحل عليهم الروح القدس**، إذ أوصاهم: "أَنْ لاَ يَبْرَحُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ بَلْ يَنْتَظِرُوا **مَوْعِدَ الآبِ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنِّي**" (أع1: 4).

ما أجمل أن نسمع أن الوعد بالروح القدس للكنيسة المفدية هو من الآب للابن، يقول: **"أَمَّا أَنَا فَهَذَا عَهْدِي مَعَهُمْ قَالَ الرَّبُّ: رُوحِي الَّذِي عَلَيْكَ وَكَلاَمِي الَّذِي وَضَعْتُهُ فِي فَمِكَ لاَ يَزُولُ مِنْ فَمِكَ، وَلاَ مِنْ فَمِ نَسْلِكَ، وَلاَ مِنْ فَمِ نَسْلِ نَسْلِكَ، قَالَ الرَّبُّ: مِنَ الآنَ وَإِلَى الأَبَدِ" (إش59: 20، 21).**

لهذا قال السيد المسيح: "**وَأَمَّا الْمُعَزِّي الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ" (يو14: 26).** وقال أيضًا عنه: **"مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الْحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ.. لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ" (يو16: 13، 14).**

ولهذا فقد صارت الكنيسة فى العصر الرسولى تكرز بالإنجيل وتسجل كلمات السيد المسيح فى الأناجيل المكتوبة وبعض أسفار العهد الجديد، حتى العظة على الجبل بكاملها. بل أن إنجيل يوحنا قد أورد حوارات طويلة حدثت بين السيد المسيح واليهود تثبت ألوهيته، إلى جوار حديثه الطويل مع المرأة السامرية الذى لم يحضره أحد من التلاميذ.

**إن وعد الآب قد تحقق ولا زال يتحقق بعمل الروح القدس فى الكنيسة**: فى أسرارها السبعة، وفى شرح الأناجيل وأسفار العهد الجديد والعهد القديم من خلال أقوال الآباء القديسين، وخاصة ما قررته المجامع المسكونية الثلاث الأولى. إلى جوار ما عمله الروح القدس فى شهادة القديسين الذين نالوا أكاليل الشهادة على الإيمان المستقيم. وما زال الروح القدس يعمل فى الكنيسة حتى تحفظ الإيمان الأرثوذكسى.

الباب العاشر

المسيح الحق الصادق الآمين

لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا

قال إشعياء النبى عن السيد المسيح**:** "**عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ" (إش53: 9).**

معروف طبعًا أن الله "لَيْسَ بِظَالِمٍ" (عب6: 11). فالسيد المسيح من حيث لاهوته لا يظلم أحدًا. ولكنه أيضًا فى أيام جسده أى من حيث أنه تأنس وصار إنسانًا من أجل خلاصنا، لم يظلم أحدًا ولم يعمل ظُلمًا. لقد كان السيد المسيح كاملاً فى لاهوته وكاملاً فى ناسوته؛ قدوسًا فى كل شيء لاهوتيًا وناسوتيًا، أى أنه من حيث ناسوته كان بلا خطية. وقال الملاك للسيدة العذراء مريم عنه: "فَلِذَلِكَ أَيْضًا **الْقُدُّوسُ** الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابن اللهِ" (لو1: 35).

ليس الظُلم فقط هو فى القسوة مع الناس، ولكن الظُلم هو فى إهمال المحتاجين، والمتعبين، والضعفاء، والمطروحين، والذين ليس لهم أحد يذكرهم "وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْبِ" (مت4: 23)، "وَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعَ تَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ إِذْ كَانُوا مُنْزَعِجِينَ وَمُنْطَرِحِينَ كَغَنَمٍ لاَ رَاعِيَ لَهَا" (مت9: 36)، وفى البرية إذ كانت الجموع قد تبعته بالآلاف أشبعها من خمس خبزات وسمكتين ولم يصرفهم جائعين لئلا يخوروا فى الطريق (انظر يو6: 5-13).

ينطبق على السيد المسيح شعر **قداسة البابا شنودة الثالث**- أطال الرب حياه قداسته- {**أنت نبعٌ من حنانٍ أنت قلبٌ**}.

وحينما كان السيد المسيح يوبّخ الخطاة كان يدعوهم أولاً إلى التوبة. وإذا اضطر إلى استخدام الحزم مثلما أخرج الباعة من هيكل الرب، كان يقدّم السبب ويقول: "مَكْتُوبٌ أَنَّ بَيْتِي بَيْتُ الصَّلاَةِ. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ" (لو19: 46).

لقد رفع السيد المسيح الظلم عن كثيرين، مثلما قاد زكا رئيس العشارين إلى التوبة؛ إذ دخل إلى بيته، فقام زكا وقال: "هَا أَنَا يَا رَبُّ أُعْطِي نِصْفَ أَمْوَالِي لِلْمَسَاكِينِ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَشَيْتُ بِأَحَدٍ؛ أَرُدُّ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ" (لو19: 8). إن المظلوم قد أخذ من زكا أربعة أضعاف ما ظُلم به. فمن قاد الناس إلى التوبة بهذا المقدار؟!.. لذلك قال السيد المسيح فى بيت زكا: "الْيَوْمَ حَصَلَ خَلاَصٌ لِهَذَا الْبَيْتِ إِذْ هُوَ أَيْضًا ابن إِبْرَاهِيمَ" (لو19: 9).

وبالرغم من محبة السيد المسيح لإبراهيم ونسله حسب الوعد والعهد بينه وبين إبراهيم؛ إلا أنه لم يتحيّز لليهود ضد الأمم الذين ليسوا من نسل إبراهيم. بل قال لتلاميذه: "**وَلِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ** يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ أَيْضًا فَتَسْمَعُ صَوْتِي وَتَكُونُ رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ". (يو10: 16)

وفى قصة المرأة الكنعانية ردد السيد المسيح قول اليهود عن الأمم كأنهم لا يحسبون بنينًا. فأجابت المرأة باتضاع كبير حتى قال لها السيد المسيح: "يَا امْرَأَةُ عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ" (مت15: 28). **وبهذا أوضح السيد المسيح أن الأمم يمكنهم أن ينتزعوا البركة إذا آمنوا وتمسكوا بإيمانهم. وبذلك لم يظلم السيد المسيح الأمم ومن بينهم المرأة الكنعانية، بل فتح لهم باب البنوة**.

وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ

وكان السيد المسيح صادقًا فى كل كلامه. لم يتملق أحد أو يجامله على حساب الحق. لم يتأخر عن إعلان مشيئة الآب السماوى وكلامه ووصاياه مهما كلّفه ذلك من ثمن فى كراهية اليهود له. وكان يقول لهم: "لَوْ كَانَ اللَّهُ أَبَاكُمْ لَكُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي.. لِمَاذَا لاَ تَفْهَمُونَ كلاَمِي؟ لأَنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَسْمَعُوا قَوْلِي.. الَّذِي مِنَ اللَّهِ يَسْمَعُ كلاَمَ اللَّهِ" (يو8: 42، 43، 47).

ويوبّخهم قائلاً: "أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا" (يو8: 44).

**وإذا أراد أن يعلن أن الله الآب عاد ليخلق من جديد فى اليوم السابع،** **كان يعمل معجزاته فى يوم السبت**، ويقول لليهود: "أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ" (يو5: 17).. "فَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ بَلْ قَالَ أَيْضًا إِنَّ اللَّهَ أَبُوهُ مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللَّهِ" (يو5: 18). كان السيد المسيح يعلن كلام الحق ويقول لسامعيه: "فَإِنْ حَرَّرَكُمْ الابن فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا" (يو8: 36)، ويقول لتلاميذه: "وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ**"** (يو8: 32). بل أكّد أنه هو "الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ" (يو14: 6).

وتكلّم السيد المسيح عن آلامه وصلبه وقيامته، وأخبر تلاميذه بهذه الأمور قبل حدوثها. كما أخبرهم عن صعوده إلى السماوات. وقد وصل خبر كلامه عن قيامته فى اليوم الثالث إلى اليهود، ولذلك طلبوا من الوالى الرومانى حراسة القبر إلى اليوم الثالث.

وبالرغم من عدم ارتياح التلاميذ لفكرة تسليم السيد المسيح نفسه للموت؛ مثلما قال له بطرس: "حَاشَاكَ يَا رَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هَذَا!" (مت16: 22)، إلا أن السيد المسيح قد صمم على إتمام الفداء بالصليب وأخبر تلاميذه بكل هذا بالرغم من الحزن الذى ملأ قلوبهم؛ لأن هذا كان لخيرهم وخلاصهم من الهلاك الأبدى.

ينطبق تمامًا على السيد المسيح قول الوحى فى سفر الأمثال "أَمِينَةٌ هِيَ جُرُوحُ الْمُحِبِّ، وَغَاشَّةٌ هِيَ قُبْلاَتُ الْعَدُوِّ" (أم27: 6). ولكن السيد المسيح "َلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ" (إش53: 9)؛ فلم يقُبّل أحدًا قُبلة غاشة مثلما فعل يهوذا معه، بل على العكس تكلّم بالحق وتصرّف بالحق مهما كان الثمن. لأنه كان أمينًا وسيبقى أمينًا إلى الأبد..

الباب الحادى عشر

حضور الرب المرهب وعظمة أعماله

مِنْ حَضْرَتِكَ تَتَزَلْزَلُ الْجِبَالُ

"مِنْ حَضْرَتِكَ تَتَزَلْزَلُ الْجِبَالُ" (إش64: 1)، تزلزلت الجبال عندما سلّم السيد المسيح روحه البشرى المتحد باللاهوت على خشبة الصليب "الأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ" (مت27: 51). وتزلزلت الأرض مرة أخرى عند قيامة السيد المسيح والتى بعدها جاء الملاك ودحرج الحجر عن القبر ليعلن القيامة المجيدة (انظر مت28: 2).

**وهل كان هناك حضور للرب الإله يستحق أن تتزلزل له الجبال أهم من حضور الآب فى قبول ذبيحة الابن الوحيد بالروح القدس؟!**

كَمَا تُشْعِلُ النَّارُ الْهَشِيمَ

**"كَمَا تُشْعِلُ النَّارُ الْهَشِيمَ" (إش64: 2)، كان ظهور السيد المسيح لموسى فى العليقة المشتعلة بالنار ولم تحترق هو رمز واضح عن التجسد الإلهى فى بطن العذراء القديسة مريم دون أن يحترق الناسوت لسبب اتحاده باللاهوت وبالتالى دون أن تحترق العذراء مريم** (انظر خر 3: 2-16، أع 7: 30-34).

كذلك كانت النار تنزل من السماء وتلتهم الذبائح فى العهد القديم ويشم الله رائحة الرضى والسرور كرمز لإصعاد ذبيحة السيد المسيح بالروح القدس النارى. لذلك نقول فى لحن "Vai `etafenf فاى إيتاف اينف": {هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة}. ويقول معلمنا بولس الرسول عن ذلك: "الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلاَ عَيْبٍ" (عب9: 14).

وبإتمام الفداء أرسل المسيح موعد الآب بحلول الروح القدس على الكنيسة فى يوم الخمسين فى هيئة ألسنة من النار، ليمنح عطاياه الإلهية ومواهبه الفائقة للطبيعة، ويقودها ويرشدها ويعلّمها.

وَتَجْعَلُ النَّارُ الْمِيَاهَ تَغْلِي

"وَتَجْعَلُ النَّارُ الْمِيَاهَ تَغْلِي، لِتُعَرِّفَ أَعْدَاءَكَ اسْمَكَ" (إش64: 2) عندما أكّد السيد المسيح فى حديثه مع نيقوديموس أن الميلاد الفوقانى هو بواسطة الماء والروح. فإن معنى ذلك **أن الروح القدس النارى سوف يحل فى المياه** ليمنح الولادة الجديدة بعد التطهير من الخطية الأصلية والخطايا الفعلية.

**ولا يمكن أن النار تأتى من فوق المياه فتجعلها تغلى** ولكن النار يلزمها أن تخترق المياه لكى تجعلها تغلى. وهذا ما يحدث فى مياه المعمودية عندما يحل فيها الروح القدس **النارى** فإنها **تصير لها قوة التطهير**؛ مثلما تطهر المياه الساخنة مع الغليان أدوات الجراحة والحقن الطبية قبل استخدامها فى التعامل مع الإنسان المحتاج إلى الشفاء. إن نار الروح القدس هى نار روحية وليست مادية. قال يوحنا المعمدان عن معمودية السيد المسيح فى العهد الجديد: "هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ الَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ" (لو3: 16-17).

لِتُعَرِّفَ أَعْدَاءَكَ اسْمَكَ

هذه العبارة لها معنيان:

 **المعنى الأول**: هو أن يعرف الوثنيون أن الإله الحقيقى هو إله إبراهيم الذى اسمه "يهوه" وهو الإله الوحيد الخالق الحقيقى.

 **والمعنى الثانى**: هو أن اسم "يسوع" هو اسم الخلاص (يهوشع = يهوه خلَّص) وقد تساءل كاتب الإصحاح الثلاثين من سفر الأمثال عن الله وقال: "مَا اسْمُهُ وَمَا اسْمُ ابْنِهِ إِنْ عَرَفْتَ؟" (أم30: 4)

وبالطبع لم تعرف الشياطين الاسم الحسن؛ اسم **الخلاص** إلا على مرحلتين **الأولى**: عندما قال الملاك "وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ لأَنَّهُ **يُخَلِّصُ** شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ" (مت1: 21). **والمرحلة الثانية**: عندما أتم يسوع الفداء على الصليب "إذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أشْهَرَهُمْ جِهَاراً، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ (الصليب)" (كو2: 15)، عندما سلم الرب يسوع روحه البشرى فى يدى الآب قائلاً "يَا أَبَتَاهُ فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي" (لو 23: 46، انظر مز31: 5)، خرج روحه من الجسد غالبًا ولكى يغلب وسحق الجحيم وقوات الظلمة وداس الموت بموته و"أبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ" (2تي1: 10). وبذلك عرف الشياطين ما هو اسم الرب الذى غلبهم، **وصار اسم "يسوع" مرعباً للشياطين** بصورة لا تقاوم. وإن كان الشيطان قد سبق وصرخ أثناء خدمة السيد المسيح "آهِ! مَا لَنَا وَلَكَ يَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ! أَتَيْتَ لِتُهْلِكَنَا! أَنَا أَعْرِفُكَ مَنْ أَنْتَ قُدُّوسُ اللَّهِ!" (مر1: 24). ولكن السيد المسيح بتواضعه وإخلائه لذاته، عاد وجعل الشيطان يشك فى ألوهيته حينما أبرز بعض خواص بشريته؛ أى صفاته الإنسانية التى لم تتلاشَ لسبب اتحاد الناسوت باللاهوت.

لقد صار لنا فى اسم "يسوع" الملجأ الحصين ضد محاربات الشياطين ونتغنى بهذا الاسم فى التسبحة ونقول: [اسمك حلو ومبارك فى أفواه قديسيك يا ربى يسوع المسيح مخلصى الصالح" (إبصالية السبت). كذلك يردد المؤمنون عبارات "يا ربى يسوع المسيح خلصنى... أعنى... إرحمنى" وذلك لقهر محاربات الشياطين.

لِتَرْتَعِدَ الأُمَمُ مِنْ حَضْرَتِكَ

"لِتَرْتَعِدَ الأُمَمُ مِنْ حَضْرَتِكَ" (إش64: 2)، تنبأ سابقًا إشعياء النبى عن مجيىء السيد المسيح محمولاً على يدى العذراء مريم إلى مصر فقال: "هُوَذَا الرَّبُّ رَاكِبٌ عَلَى سَحَابَةٍ سَرِيعَةٍ وَقَادِمٌ إِلَى مِصْرَ **فَتَرْتَجِفُ** أَوْثَانُ مِصْرَ مِنْ وَجْهِهِ وَيَذُوبُ قَلْبُ مِصْرَ دَاخِلَهَا" (إش19: 1).

هذا الأمر قد استمر عند صلب السيد المسيح إذ **ارتعب الوالى** الرومانى بنتيوس بيلاطس، وتألمت امرأته فى حلم قبل ذلك، **وارتعب قائد المئة** الذى صلب السيد المسيح وقال: "حَقّاً كَانَ هَذَا الإِنْسَانُ ابْنَ اللَّهِ!" (مر15: 39). **وارتعب الجنود** حراس القبر بعد قيامته عندما حدثت الزلزلة "لأَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ وَجَلَسَ عَلَيْهِ. وَكَانَ مَنْظَرُهُ كَالْبَرْقِ وَلِبَاسُهُ أَبْيَضَ كَالثَّلْجِ. فَمِنْ خَوْفِهِ **ارْتَعَدَ الْحُرَّاسُ** وَصَارُوا كَأَمْوَاتٍ" (مت28: 2-4). واستمر ارتعاد الأمم بعد صعود السيد المسيح بعد حلول الروح القدس وانتشار الكرازة بالإنجيل بقوة الروح.

حِينَ صَنَعْتَ مَخَاوِفَ لَمْ نَنْتَظِرْهَا نَزَلْتَ

"حِينَ صَنَعْتَ مَخَاوِفَ لَمْ نَنْتَظِرْهَا نَزَلْتَ. تَزَلْزَلَتِ الْجِبَالُ مِنْ حَضْرَتِكَ" (إش64: 3).. ما هى هذه المخاوف التى فاقت توقع البشر؟ نورد بعضاً من أمثلتها:

* ظهور الملاك لزكريا الكاهن والد يوحنا المعمدان.. والبشارة بمولد أعظم مواليد النساء من الأنبياء..
* ظهور الملاك للقديسة مريم العذراء وبشارته لها بسر التجسد الإلهى.
* ظهور الملاك للرعاة فى ليلة ميلاد السيد المسيح وتبشيرهم، وتسابيح جمهور الجند السمائى.
* ظهور النجم السماوى المعجزى فى المشرق للمجوس وقيادتهم عبر أورشليم إلى بيت لحم وإلى البيت حيث كان الرب يسوع وهو صبى صغير.
* الظهور الإلهى (الثيئوفانيا) أى ظهور الثالوث عند عماد السيد المسيح من يوحنا فى نهر الأردن حيث انفتحت السماء وحل على الرب يسوع الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة.
* إخراج الشياطين من البشر وهو تعليم جديد وظاهرة جديدة لم يفعلها أى قديس أو نبى قبل مجيئ السيد المسيح.
* معجزات كثيرة صنعها السيد المسيح مثل صنع عينين للمولود أعمى، وشفاء الأبرص وكثير من المرضى، وانتهار البحر والريح.
* تجلى السيد المسيح على الجبل وظهور موسى وإيليا معه فى مجد، والسحابة النيرة وصوت الآب من السماء من المجد الأسنى: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي أَنَا سُرِرْتُ بِهِ" (2بط1: 17).
* إقامة لعازر من القبر بعد موته بأربعة أيام.
* عندما حضر اليونانيون وقال السيد المسيح للآب السماوى: "أيُّهَا الآبُ مَجِّدِ اسْمَكَ. فَجَاءَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ: مَجَّدْتُ وَأُمَجِّدُ أَيْضاً" (يو12: 28) وقال الحاضرون قد حدث رعد أو قد كلّمه ملاك.
* وقوع الحراس على الأرض عندما قال لهم السيد المسيح: "أَنَا هُوَ" (يو18: 5) وذلك قبل أن يسلّم لهم نفسه بإرادته وسلطانه.
* الظلمة من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة على الأرض عند صلب السيد المسيح، والزلزلة، وتشقق الصخور وانفتاح القبور عندما سلّم روحه البشرى الطاهر. ففى حضرة الآب والابن والروح القدس تزلزت الجبال لأن المسيح "برُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلاَ عَيْبٍ" (عب9: 14).
* معجزة القيامة والحجر مختوم والزلزال الذى صاحبها، وظهور الملاك كالبرق للحراس، وجلوسه على الحجر الذى دحرجه. وظهور الملائكة للمريمات داخل القبر. وظهور السيد المسيح لمريم المجدلية ولبطرس ولتلميذى عمواس ولجماعة الرسل فى العلية والأبواب مغلقة، وفى الأحد التالى للآباء الرسل ومعهم توما الرسول.
* صعود السيد المسيح إلى السماء أمام أعين تلاميذه بعد مباركته لهم.
* حلول الروح القدس المعجزى فى يوم الخمسين بصوت ريح عاصف وعلى هيئة ألسنة منقسمة كأنها من نار، حيث بدأوا يتكلمون بألسنة جديدة لينشروا الكرازة بالإنجيل إلى كل الأمم كما أوصاهم السيد المسيح.

الباب الثانى عشر

المسيح الإله الوحيد الأزلى والكائن

قبل الأزمنة الأزلية

وَمُنْذُ الأَزَلِ لَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يُصْغُوا

"وَمُنْذُ الأَزَلِ لَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يُصْغُوا. لَمْ تَرَ عَيْنٌ إِلَهاً غَيْرَكَ يَصْنَعُ لِمَنْ يَنْتَظِرُهُ" (إش64: 4)، هذه العبارة تشير إلى ما قاله السيد المسيح لرسله القديسين: "إِنَّ أَنْبِيَاءَ وَأَبْرَارًا كَثِيرِينَ اشْتَهَوْا أَنْ يَرَوْا مَا أَنْتُمْ تَرَوْنَ وَلَمْ يَرَوْا وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوا" (مت13: 17).

وعبارة "**منذ الأزل**" معناها هنا منذ الزمان القديم ولكنها فى مواضع أخرى تعنى قبل كل الدهور.

وقد أورد القديس بولس الرسول "الأزل" بمعنى "الزمان القديم" حينما تكلّم عن وجود السيد المسيح -بحسب لاهوته- قبل كل الدهور إذ قال: "بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ **قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ**" (2تي1: 9)، ومعناها قبل الأزمنة القديمة. فعبارة "**قبل الأزمنة الأزلية**" تساوى عبارة "**قبل كل الدهور**". بمعنى أن السيد المسيح كائن قبل الأزمنة الأزلية، أى قبل الأزمنة القديمة وقبل بداية الزمن لأنه فوق الزمن وغير زمنى بولادته من الآب قبل كل الدهور. ولكن مفهوم الوجود الإلهى قبل الزمن وفوق الزمن وخارج نطاق الزمن هو مفهوم لاهوتى وتعبير دقيق لم يستخدم فى العهد القديم لأنه فوق فهم الناس فكان تعبير "**القديم الأيام**" (دا 7: 9) هو التعبير البسيط الذى يفهمه العامة، وكذلك تعبير "منذ الأزل" كان يشير إلى نفس الحقيقة وهى أن الله أزلى وكائن قبل الأكوان.

وقد اختار الله لنفسه اسم "يهوه" بمعنى "الكائن" وقال لموسى عندما سأله عن اسمه الخاص: "أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ" (خر3: 14)، أى "أنا أكون الذى أكون" أو "أنا هو الذى أنا هو" بمعنى أنه **كائن بالضرورة وكائن على الدوام وكائن فى كل زمان ومكان.**

وقال عن نفسه فى سفر الرؤيا: "الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي" (رؤ1: 8). أى أنه **كائن فى الحاضر وفى الماضى وفى المستقبل لأنه لا يحده زمان كما لا يحده مكان.**

لَمْ تَرَ عَيْنٌ إِلَهاً غَيْرَكَ يَصْنَعُ لِمَنْ يَنْتَظِرُهُ

فبما أن الرسل قد أبصروا السيد المسيح وهو الله الظاهر فى الجسد لذلك تغنى بولس الرسول وقال: "وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: **اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ**" (1تى3: 16).

وعندما قال فيلبس الرسول للسيد المسيح: "يَا سَيِّدُ أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا" (يو14: 8) أجابه السيد المسيح: "**اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ**" (يو14: 9). بمعنى أن السيد المسيح كما قال معلمنا بولس الرسول هو "**صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ**" (كو1: 15).

وربما يقول البعض إن آلهة الوثنيين كانت منظورة فى الأصنام أو حتى من الكائنات الحية مثل عجل أبيس أو أباطرة الرومان.

**ولكن إشعياء النبى يؤكد "لَمْ تَرَ عَيْنٌ إِلَهاً غَيْرَكَ يَصْنَعُ لِمَنْ يَنْتَظِرُهُ" (إش64: 4).**

ما فائدة رؤية الآلهة الوثنية للمصريين التى هزأ منها موسى النبى فى الضربات العشرة كما قال له الله: "وَأَصْنَعُ أَحْكَاماً بِكُلِّ آلِهَةِ الْمِصْرِيِّينَ. أَنَا الرَّبُّ" (خر12: 12).

كذلك لم يستطع الإله "داجون" أن يخلّص نفسه عندما وضع الوثنيون "**تابوت العهد**" أى تابوت إله موسى فى معبده، وفى اليوم التالى "إِذَا بِدَاجُونَ سَاقِطٌ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ أَمَامَ تَابُوتِ الرَّبِّ, فَأَخَذُوا دَاجُونَ وَأَقَامُوهُ فِي مَكَانِهِ وَبَكَّرُوا صَبَاحاً فِي الْغَدِ وَإِذَا بِدَاجُونَ سَاقِطٌ عَلَى وَجْهِهِ عَلَى الأَرْضِ أَمَامَ تَابُوتِ الرَّبِّ وَرَأْسُ دَاجُونَ وَيَدَاهُ مَقْطُوعَةٌ عَلَى الْعَتَبَةِ. بَقِيَ بَدَنُ السَّمَكَةِ فَقَطْ" (1صم5: 3، 4).

هل أى إله آخر غير الله يستطيع أن يُخلّص البشر من الموت الأبدى أو حتى الموت الجسدى؟!!.

كان لقدماء المصريين آلهة لحراسة الموتى مثل الإله "**أنوبيس**" الذى رأسه رأس كلب أسود ولكن لم يوجد إله أقام موتاهم.

إن السيد المسيح –هو الله الظاهر فى الجسد أى الابن والوحيد الجنس كلمة الله المتجسد- لم يصنع المعجزات فقط بل أعطى تلاميذه سلطانًا أن يصنعوا المعجزات مثله. حتى أنه أعطاهم سلطانًا أن يخرجوا الشياطين وهو الأمر الذى لم يحدث منذ بداية الخليقة على الأرض. وقال السيد المسيح لليهود: "إن كُنْتُ بِإِصْبِعِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ" (لو11: 20).

**لقد انتظرت البشرية مجيىء السيد المسيح وكان هو مشتهى الأجيال**، لذلك فحينما دخلت السيدة العذراء بالسيد المسيح بعد ولادته منها بأربعين يوم، وقفت حنة نبية بنت فنوئيل "وَتَكَلَّمَتْ عَنْهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُنْتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ" (لو 2: 38).

**حقاً يا ربنا يسوع المسيح "لَمْ تَرَ عَيْنٌ إِلَهاً غَيْرَكَ يَصْنَعُ لِمَنْ يَنْتَظِرُهُ" (إش 64: 4).**

ولم يظهر السيد المسيح فقط فى الجسد، ولكن كعربون للتجسد ظهر **مراراً كثيرة فى العهد القديم** مثل ظهوره لأبينا إبراهيم عند بلوطات ممرا مع الملاكين.. ومثل ظهوره لأبينا يعقوب ومباركته له عند طلوع الفجر، ومثل ظهوره لموسى فى العليقة عند جبل سيناء، ومثل ظهوره لجدعون تحت البطمة، ولمنوح والد شمشون وقال له: "لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي وَهُوَ عَجِيبٌ" (قض13: 18).. وكثير من الظهورات فى العهد القديم حتى أن السيد المسيح قال لليهود: "**أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ**" (يو8: 56).

ولكن قال معلمنا بولس الرسول عن هابيل الصديق وعن الآباء البطاركة الأولين إبراهيم وإسحق ويعقوب وعن سارة جدة السيد المسيح: "**فِي الإِيمَانِ مَاتَ هَؤُلاَءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيُّوهَا، وَأَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلاَءُ عَلَى الأَرْضِ**" (عب11: 13).

إن كان البعض قد نظروا السيد المسيح فى ظهورات فى العهد القديم كعربون وإشارة إلى تجسده فى ملء الزمان؛ ولكن سمعان الشيخ قال حينما حمل السيد المسيح وهو طفل على ذراعيه: "الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ.. **نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ** **وَمَجْداً لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ**" (لو2: 29-32).

**فهناك فرق كبير بين انتظار حلول الله فى وسطنا وحلوله بالفعل حينما تجسد وخلصنا بصليبه المحيى وأعطانا الحياة.. فمجداً لإلهنا إلى أبد الدهور.**

الباب الثالث عشر

الكنيسة المحروسة تتبع المسيح

وتهزم الشيطان

يَجْعَلُ الْخَلاَصَ أَسْوَارًا وَمِتْرَسَةً

بعد حديثه عن ابتلاع الموت إلى الأبد بخلاص الله. استطرد النبى إشعياء يقول: "فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يُغَنَّى بِهَذِهِ الأُغْنِيَةِ فِي أَرْضِ يَهُوذَا: لَنَا مَدِينَةٌ قَوِيَّةٌ. **يَجْعَلُ الْخَلاَصَ أَسْوَارًا وَمِتْرَسَةً**. **اِفْتَحُوا الأَبْوَابَ لِتَدْخُلَ الأُمَّةُ الْبَارَّةُ الْحَافِظَةُ الأَمَانَةَ. ذُو الرَّأْيِ الْمُمَكَّنِ تَحْفَظُهُ سَالِمًا سَالِمًا لأَنَّهُ عَلَيْكَ مُتَوَكِّلٌ.** تَوَكَّلُوا عَلَى الرَّبِّ إِلَى الأَبَدِ لأَنَّ فِي يَاهَ الرَّبِّ صَخْرَ الدُّهُورِ**"** (إش26: 1-4).

**حديث جميل عن الكنيسة فى العهد الجديد قوية وحصينة**: "لَنَا مَدِينَةٌ قَوِيَّةٌ"، وأسوارها لا يقوى عليها العدو، لأن قوة الصليب تهزمه وتحفظها "يَجْعَلُ الْخَلاَصَ أَسْوَارًا وَمِتْرَسَةً"، **كلما يبصر الشيطان علامة الصليب على أسوار الكنيسة عروس المسيح يرتد مرتعبًا**. لهذا قال السيد المسيح عنها إن "**أَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا**" (مت16: 18).

وقال إشعياء النبى مخاطبًا إياها: "**كُلُّ آلَةٍ صُوِّرَتْ ضِدَّكِ لاَ تَنْجَحُ وَكُلُّ لِسَانٍ يَقُومُ عَلَيْكِ فِي الْقَضَاءِ تَحْكُمِينَ عَلَيْهِ**" (إش54: 17).

**إن سر قوة الكنيسة هو فى تمسكها بخلاص المسيح**، وفعاليته فى حياة أولادها وحرصها الشديد على خلاص كل نفس، وعلى رعاية الصغير والكبير، الفقير والغنى، وأن تحفظهم فى حروبهم مع الشيطان بصلواتها.

ليت الذين يتآمرون على الكنيسة مثل "مكس ميشيل" وأصحاب "البدع الحديثة" وأتباع "التيار الخمسينى" يدركون أن كل مساعيهم ستبوء بالفشل مثلما حدث على طول تاريخ الكنيسة الطويل.

تَحْفَظُهُ سَالِمًا سَالِمًا لأَنَّهُ عَلَيْكَ مُتَوَكِّلٌ

هذه نبوة قيلت عن السيد المسيح الذى انتصر على الموت ولم تؤثر فيه جراحات الجلد وإكليل الشوك والصليب تأثيرًا دائمًا، بل احتملها حبًا لنا وإيفاءً للعدل الإلهى.

من رأى السيد المسيح بجسد القيامة الممجد أدرك بصورة ملموسة أن الله الآب قد حفظ جسد الابن سالمًا بغير فساد، ثم أقامه من الأموات متخطيًا كل الجراحات، وحتى طعنة الحربة التى تأكدوا بها من موته جسديًا.

تحفظة سالمًا فى القبر بغير فساد، وتحفظه فى القيامة فلا يقوى عليه الموت **ويبقى حيًا وسالمًا إلى الأبد. لهذا كرر كلمة سالمًا مرتين.**

**وهذه العبارة تمتد أيضًا إلى كل من يتبع السيد المسيح حاملاً صليبه،** فالرب سوف يحفظه سالمًا من موت الخطية، ثم يحفظه سالمًا من الموت الثانى الذى هو الهلاك الأبدى.

وقد عبّرت النبوة عن شخصية السيد المسيح بوصفه إنه هو "ذُو الرَّأْيِ **الْمُمَكَّنِ**".

وقد شهدت الجموع للسيد المسيح إذ كانوا يتعجبون أنه يتكلم ويعلمهم "كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ" (مت7: 29). وكانوا يتعجبون من "كَلِمَاتِ النِّعْمَةِ الْخَارِجَةِ مِنْ فَمِهِ" (لو4: 22). وقال المزمور عنه "انْسَكَبَتِ النِّعْمَةُ عَلَى شَفَتَيْكَ" (مز44 :2).

لذلك قالت النبوة "ذُو الرَّأْيِ الْمُمَكَّنِ تَحْفَظُهُ سَالِمًا سَالِمًا لأَنَّهُ عَلَيْكَ مُتَوَكِّلٌ". ولا شك أن الاتكال على الله كان من سمات حياة وخدمة السيد المسيح إذ "أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ" (فى2: 7-8).

الاتكال على الله كان واضحًا جدًا حينما قَبِل السيد المسيح الموت نيابة عن الخطاة، وكان واثقًا من قيامته من الأموات حتى فى مشاعره الإنسانية الطبيعية، لأنه ناب عن الجميع إنسانيًا (من جهة ناسوته) فى الطاعة والاتكال على الآب السماوى، والثقة الكاملة فى مواعيده الحقيقية غير الكاذبة.

الكنيسة تتبع المسيح

يتغنى إشعياء كما قال: **"اِفْتَحُوا الأَبْوَابَ لِتَدْخُلَ الأُمَّةُ الْبَارَّةُ الْحَافِظَةُ الأَمَانَةَ"** (إش26: 2)، لقد دخل السيد المسيح إلى الأمجاد السماوية وارتفعت الأبواب الدهرية فى صعوده إلى السماء جسديًا. ولكن فى **مجيئه الثانى** ليأخذ عروسه الكنيسة معه إلى السماويات صار النشيد هو: "**اِفْتَحُوا الأَبْوَابَ لِتَدْخُلَ الأُمَّةُ الْبَارَّةُ الْحَافِظَةُ الأَمَانَةَ**"، وهذه هى الكنيسة التى استعد أعضاؤها لميراث الحياة الأبدية وحفظوا الأمانة الأرثوذكسية. يدخل المسيح إلى الملكوت ومعه الأمة البارة، أى جماعة القديسين.

ويضيف أيضًا فى النشيد (الأغنية): "تَوَكَّلُوا عَلَى الرَّبِّ إِلَى الأَبَدِ لأَنَّ فِي يَاهَ (بالعبرية يهوه) الرَّبِّ صَخْرَ الدُّهُورِ".

**إنه ختام رائع يدعو المؤمنين للاتكال على الرب إلى الأبد. أى أن يتمسكوا به، ويتمثلوا بالسيد المسيح فى اتكاله على الرب، محتملين أتعاب الصليب مؤمنين بخلاصه العجيب وبأنه هو الصخرة الحقيقية "صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتِهِمْ وَالصَّخْرَةُ كَانَتِ الْمَسِيحَ**" (1كو10: 4).

كلما تغنى إشعياء يقول عن الله المخلص إنه "ياه يهوه". وكلمة "ياه" هى مقطع من كلمة يهوه يضاف إلى كلمة "مخلص" العبرية وهى "شوع" لتكون "ياه شوع" أى يسوع. فيسوع هو صخر الدهور الذى تتغنى به جميع الأجيال وإلى أبد الآبدين.

عقاب الشيطان بالصليب

يتكلم إشعياء النبى عن قوة الرب التى سحقت الشيطان وقوته بالصليب وهزمت طغيانه بالرغم من الضعف الظاهرى فى قبول السيد المسيح للآلام والتعييرات. ولكن الصليب كما قال معلمنا بولس الرسول هو "قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ" (رو1: 16).

يقول النبى: "**فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ** يُعَاقِبُ الرَّبُّ بِسَيْفِهِ الْقَاسِي الْعَظِيمِ الشَّدِيدِ لَوِيَاثَانَ الْحَيَّةَ الْهَارِبَةَ. لَوِيَاثَانَ الْحَيَّةَ الْمُتَحَوِّيَةَ، وَيَقْتُلُ التِّنِّينَ الَّذِي فِي الْبَحْرِ" (إش27: 1).

معروف أن "لوياثان" هو اسم الحية القديمة الملتوية التى تشير إلى إبليس. أما عن قتل التنين الذى فى البحر فهو إشارة إلى أن السيد المسيح قد سحق رأس التنين، أى الشيطان، على المياه عند عماده فى نهر الأردن لتأسيس سر العماد المقدس. وبذلك فتح الطريق للمؤمنين بموته المحيى وقيامته المجيدة أن يتحرروا من التنين، أى من عبودية إبليس بالميلاد الفوقانى بواسطة الماء والروح، متحدين مع المسيح بشبه موته وقيامته.

الكنيسة المحروسة

وأكمل النبى حديثه مباشرة بقوله "**فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ** غَنُّوا لِلْكَرْمَةِ الْمُشْتَهَاةِ: أَنَا الرَّبُّ حَارِسُهَا. أَسْقِيهَا كُلَّ لَحْظَةٍ. لِئَلا يُوقَعَ بِهَا أَحْرُسُهَا لَيْلاً وَنَهَارًا" (إش27: 2، 3).

يقول عبارة "**فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ**" ويكررها فى حديثه النبوى عن سحق الشيطان، وعن أمجاد كنيسة العهد الجديد. لأن اليوم المقصود هو اليوم الذى صنعه الرب، هو يوم الفداء، يوم الخلاص بالتجسد والصلب والقيامة والصعود وحلول الروح القدس فى يوم الخمسين.

يقول: "فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ غَنُّوا لِلْكَرْمَةِ الْمُشْتَهَاةِ".. ما أجمل هذا التعبير المملوء بالمشاعر الفياضة والمكتوب شعرًا باللغة العبرية كنشيد يصلح للغناء. الرب يدعو الملائكة والبشر القديسين أن يتغنوا بأمجاد الكنيسة عروس المسيح التى اشتراها بدمه.

ويقول "أَنَا الرَّبُّ حَارِسُهَا. أَسْقِيهَا كُلَّ لَحْظَةٍ".. ما أجمل أن يحرس الرب بنفسه الكنيسة ويرويها بروحه القدوس حتى يتحقق قول المزمور "**مجارى الأنهار** تُفَرِّحُ مَدِينَةَ اللهِ" (مز45: 4).

إن الرب لا يحرس الكنيسة فقط من الشياطين وأعوانهم ولكنه يرويها بتعزيات الروح القدس.

وقد استعار النبى من مشاهد ذلك الزمان المدن المحاصرة أنها كانت تعانى من انقطاع المياه عنها فى وقت الحصار، وتعانى من الجوع وتحتاج إلى حراسة مستمرة على الأسوار.

ولكن الكنيسة بينما تحاصرها قوات الظلمة الروحية فإن الرب بنفسه هو حارسها ولا يستطيع الشيطان أن يقطع عنها مجارى المياه السمائية. لأن السيد المسيح قد وعد قائلاً: "إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ. مَنْ آمَنَ بِي كَمَا قَالَ الْكِتَابُ تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ" (يو7: 37).

كم كانت سعادة السيد المسيح حينما صنع الفداء على الصليب وقلبه ينادى "غَنُّوا لِلْكَرْمَةِ الْمُشْتَهَاةِ: أَنَا الرَّبُّ حَارِسُهَا. أَسْقِيهَا كُلَّ لَحْظَةٍ".

ما أعظم هذا الحب العجيب الذى ستشدو له وتتغنى به جماهير السمائيين المفديين فى الأبدية بغير حدود..

الباب الرابع عشر

أورشليم السمائية وأفراح الأبدية

هَئَنَذَا خَالِقٌ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً وَأَرْضاً جَدِيدَةً

يقول الرب بفم إشعياء النبى "لأَنِّي هَئَنَذَا خَالِقٌ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً وَأَرْضاً جَدِيدَةً فَلاَ تُذْكَرُ الأُولَى وَلاَ تَخْطُرُ عَلَى بَالٍ. بَلِ افْرَحُوا وَابْتَهِجُوا إِلَى الأَبَدِ فِي مَا أَنَا خَالِقٌ لأَنِّي **هَئَنَذَا خَالِقٌ أُورُشَلِيمَ بَهْجَةً وَشَعْبَهَا فَرَحا**ً" (إش65: 17، 18)

لقد ختم إشعياء سفره النفيس، بنفس الأسلوب الذى ختم به يوحنا الرسول سفر الرؤيا الذى تضعه الكنيسة حسب التقليد فى نهاية أسفار العهد الجديد. وكثيرون يلقبون إشعياء "بالنبى الإنجيلى" لكثرة ما فى سفره من نبوات عن السيد المسيح وعن العهد الجديد.

يقول يوحنا الرسول فى سفر الرؤيا: "ثمَّ **رَأَيْتُ سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضاً جَدِيدَةً، لأَنَّ السَّمَاءَ الأُولَى وَالأَرْضَ الأُولَى مَضَتَا**، وَالْبَحْرُ لاَ يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ. وَأَنَا يُوحَنَّا **رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُهَيَّأَةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا**... ثُمَّ جَاءَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّبْعَةِ الْمَلاَئِكَةِ الَّذِينَ مَعَهُمُ السَّبْعَةُ الْجَامَاتُ الْمَمْلُوَّةُ مِنَ السَّبْعِ الضَّرَبَاتِ الأَخِيرَةِ، وَتَكَلَّمَ مَعِي قَائِلاً: هَلُمَّ فَأُرِيَكَ الْعَرُوسَ امْرَأَةَ الْحَمَلِ. وَذَهَبَ بِي بِالرُّوحِ إِلَى جَبَلٍ عَظِيمٍ عَالٍ، وَأَرَانِي الْمَدِينَةَ الْعَظِيمَةَ أُورُشَلِيمَ الْمُقَدَّسَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، لَهَا مَجْدُ اللهِ، وَلَمَعَانُهَا شِبْهُ أَكْرَمِ حَجَرٍ كَحَجَرِ يَشْبٍ بَلُّورِيٍّ... وَلَمْ أَرَ فِيهَا هَيْكَلاً، لأَنَّ الرَّبَّ اللهَ الْقَادِرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ هُوَ وَالْحَمَلُ هَيْكَلُهَا. وَالْمَدِينَةُ لاَ تَحْتَاجُ إِلَى الشَّمْسِ وَلاَ إِلَى الْقَمَرِ لِيُضِيئَا فِيهَا، لأَنَّ مَجْدَ اللهِ قَدْ أَنَارَهَا، وَالْحَمَلُ سِرَاجُهَا. وَتَمْشِي شُعُوبُ الْمُخَلَّصِينَ بِنُورِهَا، وَمُلُوكُ الأَرْضِ يَجِيئُونَ بِمَجْدِهِمْ وَكَرَامَتِهِمْ إِلَيْهَا" (رؤ21: 1، 2 و 9-11 و 22-24).

وبمقارنة النصين أى ما ورد فى سفر إشعياء وما ورد فى سفر الرؤيا نجد تطابقاً عجيباً. والكلام هو عن **أورشليم السمائية عروس المسيح** وكيف أنها مدينة سمائية وستكون بدلاً من الأرض الأولى والسماء أو السماوات الأولى.

والمقصود طبعاً بالأرض الأولى والسماوات الأولى أى الأرض المادية والسماوات المادية مثل سماء الطيور وسماء السحب وسماء الكواكب والنجوم. وهذه كلها سوف تزول وتنحل وتتساقط كما شرح القديس بطرس الرسول فى رسالته الثانية "سَيَأْتِي كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ، يَوْمُ الرَّبِّ، الَّذِي فِيهِ تَزُولُ السَّمَاوَاتُ بِضَجِيجٍ، وَتَنْحَلُّ الْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً، وَتَحْتَرِقُ الأَرْضُ وَالْمَصْنُوعَاتُ الَّتِي فِيهَا" (2بط 3: 10).

وقد تنبأ إشعياء عن أورشليم السمائية بعد أن تكلم عن السماوات الجديدة والأرض الجديدة بقوله: "هَئَنَذَا خَالِقٌ أُورُشَلِيمَ بَهْجَةً وَشَعْبَهَا فَرَحاً" (إش65: 18).

وبنفس المفهوم ورد فى رؤيا يوحنا الرسول "هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيدًا" (رؤ 21: 5).

إن الرؤية المسيانية للقديس إشعياء النبى قد وصلت ليس فقط إلى صلب السيد المسيح وقيامته المجيدة والخلاص بدمه الثمين. ولكنها وصلت إلى أعتاب الأبدية حينما تنبأ عن أورشليم السمائية وأفراح الأبدية فى سماوات جديدة، وأرض جديدة إذ قال بفم الرب: "**افْرَحُوا وَابْتَهِجُوا إِلَى الأَبَدِ** فِي مَا أَنَا خَالِقٌ" (إش65: 18).

وأضاف إلى ذلك بفم الرب: "فَأَبْتَهِجُ بِأُورُشَلِيمَ وَأَفْرَحُ بِشَعْبِي **وَلاَ يُسْمَعُ بَعْدُ فِيهَا صَوْتُ بُكَاءٍ وَلاَ صَوْتُ صُرَاخٍ**" (إش65: 19).

وقال يوحنا الرسول فى رؤياه: "وَسَمِعْتُ صَوْتاً عَظِيماً مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْباً. وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلَهاً لَهُمْ. **وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ**، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، **وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ** فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ" (رؤ21: 3، 4).

ونلاحظ التطابق بين ما ورد فى نبوة إشعياء، وما ورد فى رؤيا يوحنا الرسول الإنجيلى عن زوال البكاء والدموع والحزن والصراخ فى أورشليم السمائية، وبدلاً من ذلك؛ الفرح الأبدى الذى أشار إليه القديس يوحنا بقوله: "هَلِّلُويَا! فَإِنَّهُ قَدْ مَلَكَ الرَّبُّ الإلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. **لِنَفْرَحْ وَنَتَهَلَّلْ وَنُعْطِهِ الْمَجْدَ،** لأَنَّ عُرْسَ الْحَمَلِ قَدْ جَاءَ" (رؤ19: 6، 7).

وبهذا نختم تأملاتنا عن "**المسيح فى سفر إشعياء**".

وبالرغم من كثرة المقالات التى أوردناها تحت هذا العنوان إلا أن السفر ملئ بأضعاف ما تحدثنا عنه. ولكنها محاولة متواضعة للاقتراب من روائع هذا السفر النبوى النفيس. نفعنا الرب بصلوات القديس إشعياء النبى الإنجيلى. آمين.

1. 1) نصوص وشواهد مزامير السواعى مأخوذة من الأجبية. [↑](#footnote-ref-2)
2. 2) الترجمة البيروتية التى أشرف عليها المستشرق فانديك. [↑](#footnote-ref-3)